# أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الثالث عشر
شهر رمضان/ ١٤٤٢هـ- آيار ٢٠٢١م.

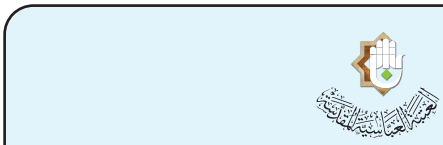

# أوراق معرفية



المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

متابعة وتنفيذ

السيد عقيل الياسري

هيأة التحرير

بدر العلي

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود - عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

# في هذا العدد...


| | | |
|---|---|---|
| علم تفسير القرآن الكريم | الشيخ هادي كاشف الغطاء | ١٠ |
| قصة ابراهيم عليه السلام والطيور | د. محمود البستاني | ١٧ |
| منهج التثبت في شأن الدين | السيد محمد باقر السيستاني | ٢٤ |
| بين العلم والدين | الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء | ٢٩ |
| يوم القيامة وضرورة المعاد | الشيخ جعفر السبحاني | ٣٤ |
| معنى التلازم وأقسامه وأنواعه | الشيخ محمد النراقي | ٣٨ |
| الزعيم الموهوب السيد ابو الحسن الأصفهاني | الشيخ محمد رضا المظفر | ٤٦ |
| بين حواريي محمد ﷺ و حواريي عيسى عليه السلام | العلامة محمد جواد مغنية | ٥١ |
| السيدة الزهراء قدوة للانسانية | الشيخ محمد مهدي الآصفي | ٥٤ |
| التعقل والإحساس | السيد محمد حسين الطباطبائي | ٦١ |
| ما هي الوسائل الكفيلة لبلوغ الهدف؟ | الشيخ ناصر مكارم الشيرازي | ٦٤ |
| أصل وزن الشعر | جرجي زيدان | ٧٤ |

# الورقة الأولى ...

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وها نحن نصل وإيّاكم أيّها القرّاء الكرام، بمجلّتنا هذه إلى هذا العدد الرائع (الثالث عشر)، بمواضيعه المباركة التي أخذت بركتها من لفظها القرآني، ومن مضمونها الإيماني، ومن تسطيرها الروحاني، تأخذ بك نحو بحار العلم؛ لتخرج منها ما طاب لك من دررها وياقوتها ومرجانها، لتصنع لك قلادة تجملك وتزينك من الخارج إذا نطقت بها، وتضيف لك الإيمان والفخر والاعتزاز في الداخل إذا احتفظت بها.

إنها أقلام العلماء التي ما تزال تروينا من الظمأ، وهي أقوى من دماء الشهداء، مع ما للشهداء من منزلة يغبطهم عليها الكثيرون، ولكنّه العلم ونور العلم، الذي ميّز آدم عليه السلام عن الملائكة حينما قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(البقرة:٣٣).

وفي الختام إليك أخي القارئ هذه الرواية الجميلة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن العلم والعلماء والحكماء والعرفاء، والتي يبيّن فيها المراتب المختلفة لهم، وهي: «العلم نهر، والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء في وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يخوضون».

أوراق قرآنية

# علم تفسير القرآن الكريم

الشيخ هادي كاشف الغطاء

التفسير: هو البيان والكشف عن معنى اللفظ وإظهاره، من فسّر الشيء إذا بيّنه وأوضحه، بخلاف التأويل: فإنّه الرجوع إلى الشيء، ومنه يُقال للمرجع (مثال) من (آل) الأمر إلى كذا أي صار إليه ورجع إليه وتأويل الكلام هو إرجاعه إلى أحد المعاني المحتملة ومنه تأويل الرؤيا الذي هو تعبيرها، وقد عرَّفوا علم التفسير بأنه العلم الذي تعرف به معاني القرآن الشريف وذكروا أنّ موضوعه هو القرآن الشريف، وبيّنوا أنّ الفائدة منه معرفة معانيه على وجه الصحة، ولا ريب في أنّ أوّل من فسّر القرآن الكريم هو نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وأكثر الصحابة تفسيراً للقرآن هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان عبد الله بن عبّاس المسمّى بـ(ترجمان القرآن) قد أخذ الكثير من تفسير عليّ بن أبي طالب.

وقال ابن مسعود: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ علياً عليه السلام عنده من الظاهر والباطن. فيكون علي عليه السلام في طليعة الصحابة الذين فسّروا القرآن، ثمّ عبد الله بن عبّاس فقد كثرت منه الرواية في التفسير عنه حتّى كاد يقارب النصف من الأحاديث الواردة في التفسير مسندة إليه، ثمّ عبد الله بن مسعود فإنّه يعدّ بعد ابن عباس في كثرة التفسير للقرآن الكريم، وأُبي بن كعب وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله والمقدّم بين القرّاء، وفي الصحابة الكثير ممّن فسّروا القرآن، ولكن الرواية عنهم قليلة، وأجلّ التفاسير وأعظمها شأناً عندنا هو تفسير التبيان للشيخ الطوسيّ، ويأتي بعده مجمع البيان للشيخ الطبرسيّ: وعلى المفسّر في تفسيره أن يعتمد على النقل الصحيح، ويأخذ بالظاهر، ولا يعتمد على التأويلات البعيدة، والآراء الفاسدة، وليس هنا محلّ البحث في تحقيق ذلك. هذا عند الإمامية، وأمّا عند إخواننا أهل السنة فإنّ في الرعيل الأوّل عندهم في التفسير هم: الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن الزبير، وأبي بن كعب، وكلّهم من الصحابة وعلى رأس الذين قاموا بقسط وافر في التفسير من التابعين هم: مجاهد، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والحسن البصريّ، وسعيد ابن جبير، وزيد بن أسلم، وعلي بن أبي طلحة، وقيس بن مسلم الكوفيّ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفيّ، وطاووس اليمانيّ، ومحمد بن

السائب الكلبيّ، وجابر بن يزيد الجعفيّ، وعامر بن شراحيل الشعبيّ.

والذين ضربوا بسهم وافر في هذا الموضوع من تابعي التابعين هم عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، ومالك بن أنس، وهؤلاء جميعاً يعتبرون عند أهل السنة والجماعة واضعي الأساس لما يسمّى بعلم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن.. وغير ذلك من علوم القرآن.

ويُقال إنّ أوّل العلوم التي دوّنت في الإسلام هو علم تفسير القرآن، وإنّ أوّل الكاتبين في التفسير شعبة بن الحجّاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وهو من علماء القرن الثاني، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين، ثمّ تلاهم محمّد ابن جرير الطبريّ. وأقدم التفاسير المدوّنة التي توجد لدينا هو تفسير فرات الكوفيّ من علماء القرن الثالث المطبوع في النجف الأشرف، وتفسير القرآن العظيم لأبي محمّد سهل بن عبد الله التستريّ المتوفّى سنة (٢٨٣ هـ)، المطبوع في مصر وتفسير علي بن إبراهيم القميّ، وتفسير ابن جرير الطبريّ، وتنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس لصاحب القاموس، وفي (الإتقان) للسيوطيّ: إنّ أوّل كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير المتوفّى سنة ٩٥ هـ.

وممّا يناسب الإشارة إليه في هذا الباب ما يحكى عن أبي زكريا بن عدي المتوفّى سنة (٣٦٤) هـ، وكان من أكبر فلاسفة القرن الرابع ومذهبه على ما قيل النصارى اليعقوبيّين من أنّه نسخ بخطّه نسختين من تفسير الطبري للقرآن الكريم.

[الهادي فيما يحتاجه التفسير من مبادي: ص٥٦]

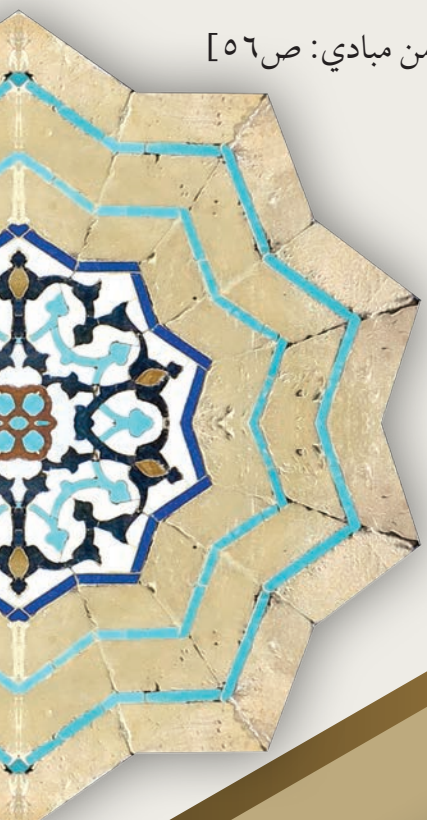

# التفسير بالرأي

السيد محمد حسين الطباطبائي

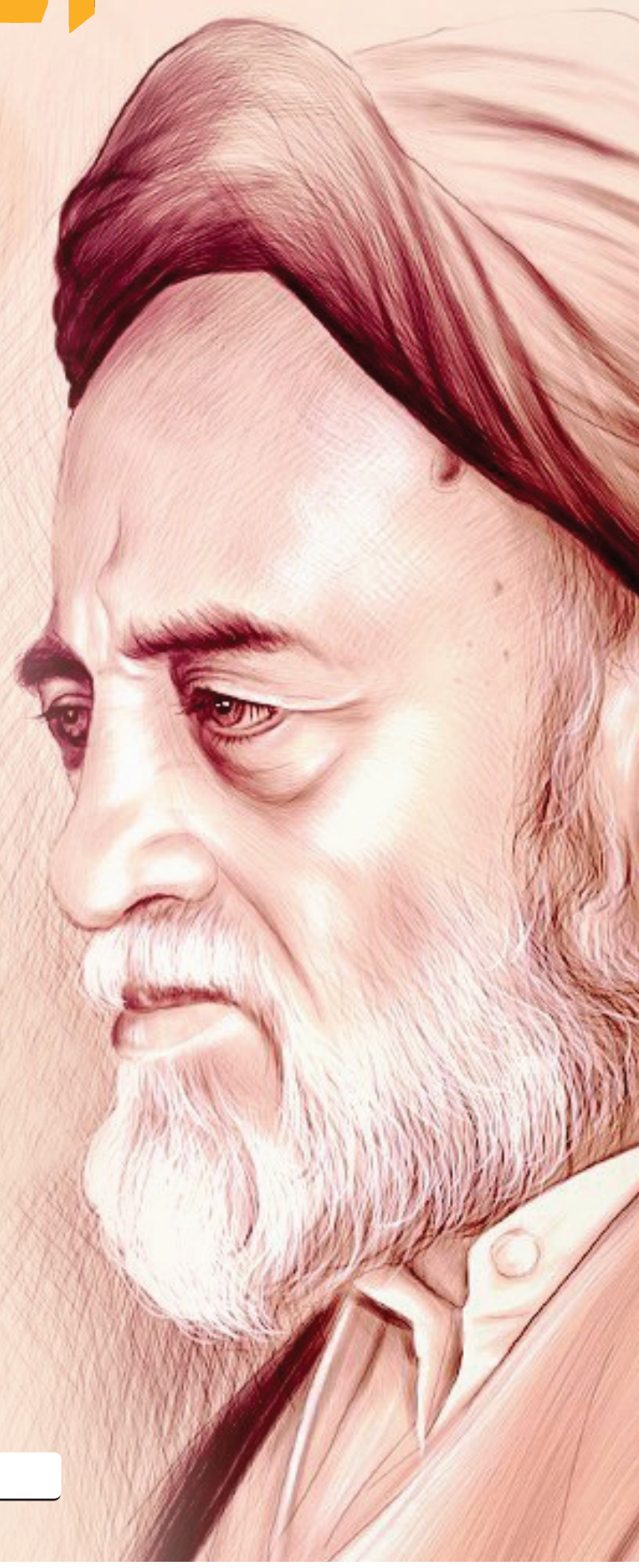

في الصافي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: مَن فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار.

أقول: وهذا المعنى رواه الفريقان، وفي معناه أحاديث أخر رووها عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأئمّة أهل البيت عليهم السّلام.

وفي منية المريد عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال: مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

أقول: و رواه أبو داود في سننه.

وفيه عنه ﷺ قال: «مَن قال في القرآن بغير علم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار».

وفيه عنه ﷺ قال: «مَن تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

أقول: ورواه أبو داود والترمذيّ والنسائيّ.

وفيه عنه ﷺ قال: «أكثر ما أخاف على أمتي من بعدي رجل يتأوّل القرآن يضعه على غير مواضعه».

وفي تفسير العياشيّ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَن فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء».

وفيه عن يعقوب بن يزيد عن ياسر عن الرضا عليه السلام قال: «الرأي في كتاب الله كفر».

أقول: وفي معناها روايات أُخر مروية في العيون والخصال وتفسير العياشيّ وغيرها.

قوله ﷺ: «مَن فسّر القرآن برأيه»، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربّما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله: برأيه مع الإضافة إلى الضمير عُلم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتّى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار بما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على ما يراه أهل الحديث، على أنه ينافي الآيات الكثيرة الدالة على كون القرآن عربياً مبيناً، والآمرة بالتدبّر فيه، وكذا ينافي الروايات الكثيرة الآمرة بالرجوع إلى القرآن وعرض الأخبار عليه.

بل الإضافة في قوله: برأيه تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقل المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس فإن قطعة من الكلام من أي متكلّم إذا ورد علينا لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي ونحكم بذلك: أنه أراد كذا كما نجري عليه في التقارير والشهادات وغيرهما، كلّ ذلك لكون بياننا مبنياً على ما نعلمه من اللغة ونعهده من مصاديق الكلمات حقيقة ومجازاً.

والبيان القرآني غير جارٍ هذا المجرى على ما تقدّم بيانه في الأبحاث السابقة، بل هو كلام موصول بعضه ببعض، في حين أنه مفصول ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، كما قاله عليّ عليه السلام فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، ويجتهد في التدبّر فيها كما يظهر من قوله تعالى: ﴿أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً

كَثِيراً﴾(النساء-٨٢).

وقد مرّ بيانه في الكلام على الإعجاز وغيره.

فالتفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى إنّما نهى عليه السلام عن تفهّم كلامه على نحو ما يتفهّم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهّم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله في الرواية الأخرى: «**مَن تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**» - فإن الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة- ليس إلّا لكون الخطأ في الطريق، وكذا قوله صلى الله عليه وآله في حديث العياشيّ: «**إن أصاب لم يؤجر**».

ويؤيّده ما كان عليه الأمر في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ القرآن لم يكن مؤلّفاً بعد ولم يكن منه إلّا سور أو آيات متفرّقة في أيدي الناس، فكان في تفسير كلّ قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.

والمحصّل: أنّ المنهي عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة إمّا هو الكتاب أو السنّة، وكونه هو السنّة ينافي القرآن ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلّا نفس القرآن.

ومن هنا يظهر حال ما فسّروا به حديث التفسير بالرأي فقد تشتّتوا في معناه على أقوال:

**أحدها**: أنّ المراد به التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير وهي خمسة عشر علماً على ما أنهاه السيوطيّ في الإتقان: اللغة، والنحو، والتصريف والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءة، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول وكذا القصص، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث المبينة لتفسير المجملات والمبهمات، وعلم الموهبة، ويعني بالأخير ما أشار إليه الحديث النبوي: «**مَن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**».

**الثاني**: أنّ المراد به تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله.

**الثالث**: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

**الرابع**: التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.

**الخامس**: التفسير بالاستحسان والهوى.

وهذه الوجوه الخمسة نقلها ابن النقيب على ما ذكره السيوطيّ في الإتقان، وهنا وجوه أُخر نتبعها بها.

**السادس**: أنّ المراد به هو القول في مشكل

القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين، ففيه تعرّض لسخط الله تعالى.

**السابع:** القول في القرآن بما يعلم أنّ الحق غيره، نقلهما ابن الأنباريّ.

**الثامن:** أنّ المراد به القول في القرآن بغير علم وتثبّت، سواء علم أنّ الحق خلافه أم لا.

**التاسع:** هو الأخذ بظاهر القرآن بناءً على أنّه لا ظهور له، بل يتبع في مورد الآية النصّ الوارد عن المعصوم، وليس ذلك تفسيراً للآية، بل إتباعاً للنصّ، ويكون التفسير على هذا من الشؤون الموقوفة على المعصوم.

**العاشر:** أنه الأخذ بظاهر القرآن بناءً على أنّ له ظهوراً لا نفهمه، بل المتّبع في تفسير الآية هو النصّ عن المعصوم.

فهذه وجوه عشرة، وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وكيف كان فهي وجوه خالية عن الدليل، على أنّ بعضها ظاهر البطلان أو يظهر بطلانه بما تقدّم في المباحث السابقة، فلا نطيل بالتكرار.

وبالجملة فالمتحصّل من الروايات والآيات التي تؤيدها كقوله تعالى: ﴿أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ﴾(الحجر-٩١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَ فَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيامَةِ﴾(فصلت-٤٠) الآية، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾(النساء-٤٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(الإسراء-٣٦)، إلى غير ذلك أنّ النهي في الروايات إنّما هو متوجّه إلى الطريق وهو أن يسلك في تفسير كلامه تعالى الطريق المسلوك في تفسير كلام غيره من المخلوقين.

وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل، وإعمال الصناعات اللفظية، فإنّما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يُراعى في كلام عربي، وقد قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(إبراهيم-٤)، وقال تعالى: ﴿وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾(النحل-١٠٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف-٣).

وإنّما الاختلاف من جهة المراد والمصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام.

[تفسير الميزان: ج٣، ص٧٥]

# قصة إبراهيم عليه السلام والطيور

د. محمود البستاني

قال تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٦٠)

نحن الآن أمام الأقصوصة الثالثة التي تسلسلت، متحدثة واحدة بعد الأخرى: عن الاماتة والإحياء...

القصة التي سبقتها، ونعني بها قصة [المار على القرية الخاوية]، كانت تتحدث عن بطل مر على احدى المدن فوجدها أنقاضا، فانفعل بهذا المشهد، وتساءل:

﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]

وكان هدفه من هذا التساؤل هو: هل هناك من أمل في ان يعيد الله الحياة الى هذه المدينة !!

وجاءت الاجابة من الله، سريعة على هذا التساؤل، فأمات السائل من لحظته، وابقاه مائة عام، ثم بعثه: حتى يطمئن إلى ان الله قادر على كل شيء.

أما الاقصوصة التي تلتها [فيما نتحدث عنها الآن]، فتتحدث عن مستفهم، أكسبه الله مقاما خاصا هو إبراهيم عليه السلام خليل الله... انه صاحب (الحنيفية) التي لم تنسخ إلى يوم القيامة...

هذه الشخصية، ترسم الآن (بطلا) لأقصوصة تتحدث عن الإماتة والإحياء أيضا...

انها تتعرض لاختبار الإماتة والإحياء أيضا، ولكن ليس ذاتها الشخصية، بل عضوية أخرى هي: الطيور.

لنقرأ الأقصوصة أولا:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى
قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟
قَالَ بَلَى.. وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ
ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ
يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

هذه الاقصوصة تتضمن (موقفا) هو: الاطمئنان، واليقين بقدرات الله ـ عز وجل ـ في احياء الموتى، عمليا.

وتتضمن (واقعة) هي: تقطيع الطيور وتفريقها على عدة جبال، ثم: عودة الحياة إليها.

وتتضمن نمطين من (الأبطال)، أحدهما: ابراهيم عليه السلام، والآخر من عضوي الطير، متمثلا في أربعة منها.

الاقصوصة بما تتضمنه من وقائع ثلاث [تقطيع الطير، تفريقها على الجبال، عودتها الى ابراهيم عليه السلام]... هذه الاقصوصة بما تتضمنه من وقائع: تظل من النوع الممتع، المدهش، المثير...

الموقف نفسه: ممتع ومثير ايضا... ابراهيم عليه السلام يريد أن يطمئن إلى عملية (الاحياء)... مع انه ابراهيم عليه السلام!!

لكن: لنتابع تفصيلات الموقف...

إن أول سؤال يثار في هذا الموقف هو: لماذا سأل ابراهيمعليه السلام عن كيفية إحياء الموتى؟ أو لم يعلم ان الله محيي الموتى؟ انه يعلم ذلك كل العلم... انه أراد ان يتيقن... ولكن: ألم يكن ابراهيمعليه السلام متيقنا من ذلك؟

لنتجه أولا الى النصوص المفسرة، ثم نصل بينها وبين الصياغة الفنية للأقصوصة. يقول احد النصوص بما مؤداه: ان ابراهيمعليه السلام سأل عن [كيفية الاحياء] وهو أمر يجهله كل البشر طالما لم يشاهد تجريبيا.

وبكلمة أخرى، يمكننا ان نصوغ القضية على هذا النحو:

الموتى يبعثون يوم القيامة، أي في زمن لم يحن بعد... وإبراهيمعليه السلام يطلب من الله ـ عز وجل ـ أن يريه كيفية عودة الروح الى العظام، أو كيفية عودة العظام والتحامها في تركيبة جسمية بعد تفرقها أو تلاشيها...

هنا، ينبغي أن نتذكر أن القصة السابقة [قصة المار على القرية الخاوية] تضمنت كيفية عودة العظام واللحم المتلاشيين أو المتفرقين، لتركيبة المار على القرية أو دابته...

هذا التجانس ـ فنيا ـ أو وحدة الموقف من خلال تماثل العمليتين، له إمتاعه الجمالي والفكري فيما يتصل بالبناء الهندسي للأقصوصتين...

ولكن... لنتابع النصوص التفسيرية الاخرى...

النص التفسيري الاول، أوضح بان ابراهيمعليه السلام طلب أمرا مجهولا لا غبار عليه أبدا... بل على العكس من ذلك،... انه مفصح عن ثقتهعليه السلام بالله ـ عز وجل ـ الى الدرجة التي يطلب من خلالها عملية لم يجئ زمانها بعد... وهذا منتهى الثقة بالله: في تصورنا. بمعنى: انه واثق بان الله يجيبه الى طلبه... وهل هناك ثقة بالله، اكبر من هذه الثقة التي تطلب ما لم يتحقق زمنه بعد!!

هناك نص تفسيري آخر يقول بما معناه:

إن الله اوحى إلى ابراهيمعليه السلام إلى انه سيصبح (خليل) الله، والى انه إذا سأل إحياء الموتى، لأجابه الله...

هذا النص بدوره، يشكل سمة ايجابية لها أهميتها دون أدنى شك.

إن عباد الله المخلصين، المتفانين في محبة الله، المنخلعة أفئدتهم من مهابة الله، الذين ما راموا منه بدلا، ولا ابتغوا عنه حولا... هؤلاء الذين يقف ابراهيمعليه السلام في مقدمتهم... عندما يوحى إليه بأنه سيصبح (خليل) الله... عندئذ: ماذا نتوقع من استجابة ابراهيم، ورد فعله حيال هذه المنحة العظيمة التي اغدقها الله على ابراهيمعليه السلام...

وهل هناك منحة أعظم من ان يكون ابراهيم خليلا لله عز وجل؟

اذن: كيف لا يطلب ابراهيم من الله ان يريه احياء الموتى، حتى يكون ذلك شاهدا يطمئن به قلبه إلى ان الله قد اتخذه خليلا...

إن المصطفين من العباد، كلما اوغلوا في محبة الله، وعبادته،... يحسون بالتقصير، وبأنهم لم يؤدوا ما لله من حق في العبادة...

اذن: كم هي فرحتهم من الشدة، حين يوحى إليهم بأنهم (أحياء) الله؟ أليس هذا بمسوغ لأن يطمئنوا بذلك، ويطلبوا ما يحقق هذه المعطيات؟

ولنتقدم الى نص تفسيري ثالث.

يقول هذا النص بما مؤداه: ان ابراهيم عليه السلام شاهد على ساحل البحر، جيفة تأكلها وحوش البر والبحر، ويثب بعضها على بعض، آكلا بعضه البعض الآخر... فاخذته الدهشة، وطلب رؤية إحياء الموتى...

هذا النص بدوره، يسوغ طلب ابراهيم عليه السلام على نحو ما عقبنا عليه في النص التفسيري الاول.

وهناك نص تفسيري رابع، يضيف الى ما تقدم: ان ابراهيم عليه السلام شاهد أعمالا منكرة لبعض الاشخاص، فدعا عليهم،... واستجيب دعاؤه،... فأوحي إليه عندئذ: لا تدع على عبادي... وبعدها: شاهد قضية الوحوش السابق ذكرها.

وهناك اكثر من نص تفسيري - سوى ما تقدم - يشير الى ان العملية تتصل بمجرد الاطمئنان واليقين [من خلال تجربة حسية] مفصحة عن مفروضية [اليقين بالغيب]، أي: الزيادة في اليقين، وليس مسح الشك وإبداله بيقين... اذ ثمة فارق بين (شاك) يطلب دليلا يمسح عنصر الشك لديه، وبين (مؤمن) يريد أن يزداد ايمانا الى ايمان...

والمهم، أيا كان الأمر... فان القضية تظل متصلة بطبيعة التركيبة الآدمية التي يصل (اليقين) لديها الى درجة، تطلب من خلالها زيادة على ذلك...

اما اذا انسقنا مع النصوص التفسيرية السابقة، فإن الامر يظل ذا وضوح أشد، وبخاصة: اذا اخذنا بنظر الاعتبار، ما سبق ان قلناه: من ان التطلع إلى رضا الله عز وجل، والتلهف الى مشاهدة ما يشير الى انه عز وجل في صدد ان يتخذ ابراهيم (خليلا) له... حينئذ، فان (المحبين) لله خالصا، (المريدين) له، (العارفين) به... تظل فرحتهم بهذه المعطيات، لا حد لها... بحيث تدفعهم إلى المطالبة بما يطمئن به القلب: من ان الله يحبهم...

وأيا كان الامر، فاننا حين ندع الجانب (الفكري) من الاقصوصة ونتجه الى جانبها الفني، نجد ان رسم الحادثة قد تميز بملامح متنوعة، منها:

١ـ التقطيع: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٢ـ التفريق: ﴿اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

٣ـ الاحياء: ﴿ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

ومع الاستعانة بالنصوص المفسرة، تواجهنا تفصيلات للملامح الثلاثة المذكورة أو لبعضها. فقد ورد عن عملية التفريق بأنها تمثلت في توزيع الشرائح على عشرة جبال، وعن عملية الإحياء، ان ابراهيم ـ عليه السلام اخذ بمناقيرهن، فائتلف لحم كل منها الى رأسه اليه..

وبالرغم من ان مجرد فصم الرأس مثلا، ووضع الطيور في مكان واحد، وإحياءها في المساحة الزمنية والمكانية قربا وسرعة، مفصح عن عملية (الاعجاز)، الا ان رسم التباعد مكانا وتكثيرة عددا: جبالا وشرائح، لينطوي على معطى جمالي وفكري يتحسسه القارئ بوضوح. اما المعطى الجمالي فيتمثل في الابعاد الثلاثة لكل من قطيع الطير والجبال وعددها: حيث يأخذ الامتاع نصيبا ضخما حيال تصورنا لعشرة جبال تتجاور أو تتباعد، تتعالى أو تقصر، والامر نفسه فيما يتصل بقطع الطير المتناثرة، ثم: التصور لعملية التحام الاجزاء واجتماعها لحما وعظما ودما... كل ذلك يصبح ذا معطى يساهم ـ من خلال جمالية الحدث ـ في تصعيد لحظات الانبهار والرهبة والتأمل نحو السماء وامكاناتها التي لا حدود لها.

[دراسات فنية في قصص القرآن]

أوراق قرآنية

الحلقة الثانية عشرة:

قواعد السلوك الإنساني السليم

# منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

كان الكلام في القاعدة الثانية من القواعد التي يقضي بها العقل الإنساني- وهي مقياس تشخيص الحكمة والفضيلة- وقد تقدّم مقياس تشخيص الحكمة، والنقطة الأولى المتعلّقة به- مدى انضباط أطراف المعادلة الثلاثية انضباطاً رياضياً -

## النقطة الثانية:

**١. انجبار ضعف أي احتمال بزيادة درجة المحتمل:**

إنّ أي احتمال مهما كان ضعيفاً يمكن أن يتحفّز وفق القانون الفطري بزيادة أهميّة المحتمل؛ فإذا كان الاحتمال ١٠ ٪- مثلاً- فاعلاً مع محتمل خطير، فإنّك تستطيع أن تقول: إنّ الاحتمال الأضعف منه وهو ٩ ٪ يكون فاعلاً مع زيادة درجة على خطورة المحتمل، مع فرض ثبات الجهد والمؤونة.

وهكذا الحال فيما يليه من الاحتمالات في الضعف ولو بلغ ١٪؛ فإنّك إذا زدت ٩ درجات على خطورة المحتمل كان فاعلاً، ويجري هذا القياس حتى في الواحد في الألف والواحد في العشرة آلاف والواحد في المائة ألف والواحد في المليون هكذا.. فكلما أنقصت في الاحتمال درجة وزدت في خطورة المحتمل درجة بقي الاحتمال فاعلاً ؛ ولذلك نرى شدة الاحتياطات العقلانية بالنسبة إلى المحطات النووية، أو الدول التي يمكن أن تتصرّف على نحو غير مسؤول في شأن النشاطات النووية - من جهة شدّة الدمار الناتج عن أي حادثة من هذا النوع-؛ فإذا كان قتل إنسان واحد محتملاً خطيراً فما بالك بقتل آلاف الناس وتدمير البيئة وانتشار الأمراض وتلف الأموال والإمكانات وعدم صلاح المساحة الواسعة من الأراضي للسكن وما إلى ذلك.. ففي مثل هذه الحالات لا بدّ من الاهتمام باحتمال الواحد في الألف أو أقل من ذلك.

والمحصّل من ذلك: أنّ ما عدا العلم القطعي-الذي يبلغ ١٠٠٪- لن يساوي العلم في ترتيب آثار الشيء مساواة مطلقة، بل قد يكون احتمال الضرر بنسبة واحد في المليون فاعلاً إذا كان الضرر خطيراً، وأمّا الجزم بعدم الضرر فهو ممّا لا يكون فاعلاً بطبيعة الحال.

**٢. انجبار ثقل المؤونة بزيادة درجة المحتمل:**

هذا.. وما ذكرناه في شأن الاحتمال ينطبق على المؤونة؛ بمعنى: أنّ المؤونة مهما كثرت وثقلت، فإن من الجائز أن يجب بذلها وتحمّلها لأجل تحصيل محتمل ما متى كان هذا المحتمل في غاية الخطورة.. ولذلك قد تجد مشاريعَ يعمل فيها آلاف الأشخاص لسنين عديدة؛ لأنها -بعد إكمالها- تدرّ نفعاً أكبر من المؤونة التي تبذل في سبيل إنجازها.

**قيمة الاحتمال قبل البحث تماثل قيمة ما يحتمل أن يبلغه بالبحث:**

**النقطة الثالثة**: إنّ القيمة الفطرية للاحتمال قبل البحث والتثبّت ليست على حدّ القيمة الفطرية للاحتمال بعد البحث والتثبّت؛ بل هو على حدّ القيمة الفطرية لما يحتمل أن يبلغه هذا الاحتمال بالبحث والتحرّي من درجة عالية.

توضيح ذلك: أنّ الاحتمال على ضربين:

الأوّل: الاحتمال قبل الفحص والتثبّت، ونسميه بـ(الاحتمال غير المستقر)؛ لأنه عرضة للارتقاء بمزيد من البحث والتحرّي.

والثاني: الاحتمال بعد الفحص والتثبّت الميسور، ونسميه بـ(الاحتمال المستقر)؛ لأنه غالباً لا يكون عرضة للارتقاء بالنظر إلى استكمال البحث.

مثلاً: إذا كنت تحتمل ضرراً ما في تناول طعام أو السفر إلى مكان ما احتمالاً تبلغ درجته ٥٠٪.. (فتارة): يكون هذا الاحتمال بدوياً - وذلك فيما لم تكن فحصت عن وجود الضرر وعدمه-، و(أخرى): يكون الاحتمال مستقراً؛ لكونك بحثت عن المؤشرات النافية والمثبتة للضرر، فخلصت إلى أن احتمال الضرر الفلاني لا يزيد على ٥٠٪؛ لعدم المؤشر على الضرر أو عدمه، أو لتساوي المؤشرات النافية والمثبتة.

وهذه الدرجة من الاحتمال - وهي ٥٠٪- رغم أنها درجة واحدة ومحتملها أيضاً واحد في الحالين، إلّا أنها تختلف في القيمة الفطرية؛ فالاحتمال بعد البحث والتحرّي يقيّم بدرجته الفعلية وهي ٥٠٪؛ فإذا كان المحتمل في مستوى لا يكون مثل هذا الاحتمال محركاً إليه فهذا لا يقتضي عدم فاعلية الاحتمال قبل الفحص، بل تكون فاعلية هذا الاحتمال في حدّ فاعلية أقصى درجة يمكن أن يبلغها؛ فلو كنت تحتمل أن يرتقي احتمال الضرر بالبحث إلى ٧٠٪، وكان هذا الاحتمال كافياً في لزوم توقّي الضرر المفترض، وجب عليك أن تعتدّ بالمحتمل-رغم أن الاحتمال العقلي لا يزيد على ٥٠ ٪ -.

وهذه القضية -على الإجمال- وجدانية وواضحة، وقد تنبّه لها الأصوليّون في علم الأصول فقالوا: إنّ احتمال الحكم في الشبهة الحكمية قبل الفحص عن الحجّة في قوّة قيام الحجّة المحتملة على الحكم.

نعم.. إذا كان الفحص يحتاج إلى مؤونته فإن مؤونته تضاف -بطبيعة الحال- إلى مؤونة رعاية المحتمل، وحينئذٍ فلا بدّ من أن تكون أهميّة المحتمل بدرجة تنهض بالاهتمام ببذل كلتا المؤونتين، وسوف نطلق مؤونة رعاية المحتمل على ما يشمل مؤونة الإدراك تغليباً تجنّباً عن التكرار.

**كيفية جريان المعادلة بين الاحتمال والمحتمل والمؤونة في موارد الفضيلة:**

**النقطة الرابعة**: إنّ المعادلة الثلاثيّة المتقدّمة كما تنطبق في شأن الحكمة تنطبق أيضاً في شأن الفضيلة ولكن مع بعض الفارق..

وتوضيح ذلك: أن هذه المعادلة في مورد

الفضيلة تؤثر في زيادة الرجحان ونقصانه -وهذا مما لا غموض فيه-، ولكن الذي قد يقع مورداً للتساؤل: أن هذه المعادلة هل تؤدي في بعض الحالات إلى تحييدنا تجاه الفضيلة؛ بحيث يكون تحري الفضيلة وعدمه سيين، أو تؤدي في حالات أخرى إلى أن يكون ترك الفضيلة راجحاً على العناية بتحصيلها؛ لضعف في احتمال حصولها أو زيادة في مؤونتها؟

وقد يُرجح في بدء النظر أنّ المعادلة لا تؤدي إلى انتفاء رجحان الفضيلة؛ لأنّ الفضيلة تبقى فضيلة، ويكون تحصيلها فاضلاً مهما ضعف احتمال إدراكه أو كثرت مؤونته.

نعم.. كثرة المؤونة والعناء يمكن أن يؤثر في شأن الفضيلة؛ فيتنزّل الإلزام العقلي بها إلى مستوى الترجيح والاستحباب والندب. كما يمكن أن ينتفي رجحان تحصيل الفضيلة في مورد؛ وذلك فيما إذا قُدّر استلزام الإقدام على تلك الفضيلة لفوات فضيلة أخرى مثلها أو أزيد منها.

وقد يخرّج على ذلك: ما نجده في بعض الأحيان؛ من أنّ أصحاب المبادئ الإنسانية السامية قد يضحّون بالنفس في سبيل مراعاة قيمة فاضلة لا يلزمهم مراعاتها، مثل: تضحية بعض المؤمنين بأنفسهم في صدر الإسلام، كياسر- والد عمار بن ياسر رضي الله عنه- كي لا ينطقوا بكلمة الكفر لساناً - وإن كان قلبهم مطمئناً بالإيمان-، بالرغم من جواز ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.. ولكنّهم مُدحوا من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله على هذا الثبات، وكذلك ضحى جماعة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في زمان بني أميّة بأنفسهم؛ كي لا يتبرّؤوا منه عليه السلام لساناً.

ولكن الواقع أنّ هذا المعنى لا يصح على وجه العموم، بل داعي الفضيلة قد ينتفي في حال الحرج الشديد أو الضرر الكبير؛ فإنّنا لا نستسيغ بحسب وجداننا أن يَصدُق الرجل فيما إذا سأله قاطع طريق عن أنه: هل يوجد لديه مال وأين هو؟ -وكان للرجل مال كثير من ذهب ونقود وقد أخفاها بنحو ما-؛ فلو أنه صدق معه وأخبره بموضعه عُدّ ذلك منه سفهاً لا فعلاً فاضلاً.

وينبّه على ذلك: أن من الجائز أن يتخفّف رجحان الفضيلة بضعف الاحتمال وكثرة المؤونة -كما ذكرناه-، وهو بديهي.

وعليه: فلا استبعاد لجواز أن ينتفي فضل الفضيلة من رأس فيما لو ضَعُف الاحتمال جداً، أو كثرت المؤونة بالقياس إلى مستواها.

نعم.. لا صعوبة في إجراء الموازنة بين مستوى المدرَك ومستوى العناء والضرر فيما لو كان المطلوب من قبيل الحكمة؛ لأن الحكمة

والعناء من سنخ واحد؛ فإن الحكمة بمعنى تحصيل النفع، والجهد والعناء يمثل ضرراً للإنسان -فيكون مؤونة-؛ فهما من سنخ واحد؛ وبالتالي تمكن الموازنة بينهما واختيار الأقل منهما.

ولكن العناء والضرر ليسا من سنخ الفضيلة، حتّى تتّضح كيفية الموازنة بينهما - فيَسهل تنقيص درجة العناء والضرر من درجة الفضيلة ويستحصل الخالص منهما-؛ وبالتالي تبقى الفطرة الإنسانية هي الحَكَم في ذلك؛ فقد يكون الحُكم واضحاً في بعض الموارد بينما يعرضه الإبهام في بعضها الآخر.

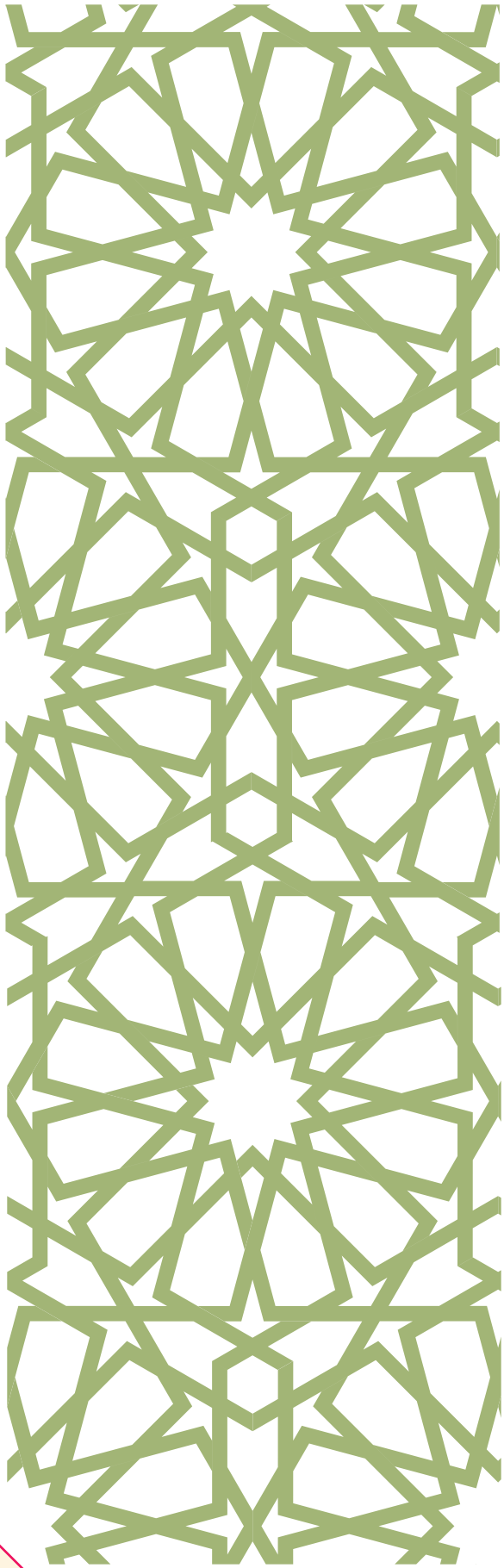

# بين العلم والدين

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

العلم يدرس جزءاً محدوداً من الكون، يأخذ ظاهرة معينة أو شيئاً معيناً، ويبحث عن العوامل التي تؤثر فيها، ويوضح لنا كيفية حدوث الأشياء والظواهر، ويقتصر على الاسباب، ولا يعنى بالعلل البعيدة. ولا يخبرنا عن الأشياء بذاتها بل يرمز عنها. ولا يطلب من العالم أن يبين الروابط بين اجزاء الكون، فهو يجزئ الموجود ويفصل بعضها عن البعض الآخر ليسهل عليه درسها وملاحظتها. ويعتمد العالم في الدرجة الاولى للوصول الى المعرفة، على الحواس والمقاييس مع إعمال الفكر للاستقراء والمقارنة، وينتقل من الجزئيات الى الكليات، ويصنّف المعلومات التي يحصل عليها بالطريقة المذكورة.

هناك حاجة للربط بين جميع الحقائق التي توصّل اليها العلماء، هناك ضرورة للنظر الى جميع الاشياء الملاحظة ككل واحد.

فمن المعلوم أن الأجـزاء في كثير من الأحوال عندما تجتمع تعطي معنى يختلف عن معاني الأجـزاء منفردة، مثلاً السيارة تختلف في معناها عن معنى الأجزاء المكونة لها. وعندما يتّحد عنصر الكلور مع عنصر الصوديوم يركبان ملح الطعام الذي يختلف في خـواصـه وصفاته عـن عنصريه، فعلى الفيلسوف أن يربط بين اكتشافات العالم مع الهـام الفنان، وانفعالات المحب، وحماسة المصلح الاجتماعي، ووازع الأخلاق للرجل العادي، ليعطي لهذه الأجزاء معنى جديداً يفسّر فيه الوجود والحياة. العالم يعتمد على التفكير مع اعطاء الحرية التامّة للفكر في فرضياته ونظرياته.

منذ أيام اليونان، انقسم الفلاسفة إلى طائفتين مع اختلاف في مذاهب كل طائفة: طائفة ذهبت إلى أن المادة هي أصل الكون، والحياة والعقل ناتج عن تفاعلات المادة وتغيراتها وقالوا: بما أن المـادة نستطيع أن ندركها بحواسنا فإليها تعود حقيقة الوجود.

الطائفة الثانية: لا ترضى بهذا التعليل الناقص غير الدقيق، وتعتبر الفلاسفة الماديين كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء. وتقول بما أن وجود كل ما نتأمّله يستلزم العقل، فالعقل هو أصل المحسوسات، والمادة لا تستطيع أن تولد العقل ما لم تكن جوهر العقل وحقيقته، لأن فاقد الـشيء لا يعطيه. وكيف جاز للماديين أن يجعلوا الطبيعة قادرة على خلق العقل وجردوها منه ملايين الملايين السنين قبل ظهور الإنسان. فحقيقة الأشياء هي عقلية أو روحية.

والظواهر المادية ليست إلّا نتيجة للطريقة التي تتخذها الحقيقة الروحية للظهور. أو كما يقول العالم الفيزيائي أدينكتون: (إنّ الظواهر المادية نتيجة للتجريد أو العزل الذي يلجأ إليه عقلنا في التعرّف على الروحية التي تتضمّن تلك الـظـواهـر)، أي إنّ الأشيـاء واحـدة بطبيعتها، لكن عقلنا يظهرها بمظاهر مختلفة تبعاً للطريقة التي نحسن بها السمع والبصر، والشم والذوق واللمس وغيرها. أو تختلف الأشياء في الصفات لا الـذات، كالشكل واللون والكثافة وغيرها من الصفات. اما المذهب الثالث وهو مذهب الشك الذي ينكر الوصول إلى الحقيقة فمؤيدوه قليلون؛ لأنّ الإنسان يكره الشك الذي يحمله على القلق ويشله ولا يوحي النشاط والحماس.

ولا أريد في هذا المقال أن ألخص تاريخ

الفلسفة ولكن غرضي أن أختصر الأدلة إلى وجود الله وصحّة الفلسفة المثالية الروحانية على الاجمال، ثمّ أشرح نظرية وحدة الوجود المشهورة متوخياً البساطة والوضوح في التعبير؛ لأني رأيتها حسب فكري ومعلوماتي، أدقّ نظرية عن حقيقة الوجود لموافقتها للعلم والدين والفلسفة الحديثة، والنظريات العلمية الحديثة كالنظرية النسبية لـ(انشتاين) ونظرية الكم لـ(بلانك).

إنّ الدين لا ينكر على العلم أهمية حقائقه الجزئية ولا يمنع الفلاسفة عن الجدل والمناظرة والتفكير، لكنه يرى أنّ الوصول للحقيقة النهائية عن طريق الحس والعقل وحدهما. يؤدّي إلى الالتباس، بالإضافة إلى هاتين الطريقتين ينبغي أن نستعين بطرائق أخرى، ذات صلة بأعماق النفس الإنسانية وباطن الفرد، مثل التنبؤ والنظر الغيبي والإلهام والوحي الإلهي والتجلي، والبداهة والقناعة الذاتية.

إنّ الدين يؤمن إيماناً تامّاً عن هذا الطريق، بأن الله هو أصل الوجود، وسواء جاءت أبحاث العلماء والفلاسفة مؤيّدة له أم لا فهو لا يكترث لها؛ لأنّ آراءهم عرضة للتغير والتبدل، يقول الدين: إنّ العالم بموجوداته المتنوّعة من بحار وأنهار وأشجار وجبال وحيوانات ومواد مختلفة، توحي إلينا بالبداهة ولأوّل وهلة أنها ليست إلّا صوراً لحقيقة واحدة هي الله.

وفي كلّ شيء له آية
تدلّ على أنّه الواحد

كما أنك تتنبأ عن اخلاق شخص عندما تجتمع به لأوّل مرّة من تفرّسك في بريق عينيه وملامح وجهه وتصيب في أكثر الأحيان، كذلك من نظرة عاجلة لهذا الوجود نعرف ماهيته وحقيقته، أمّا إذا أردنا أن نوسوس فإننا نفقد الصواب.

عندما يتأمّل الفرد في نفسه، في تفكيره وانفعالاته وآماله وآلامه، وحيويته وغرائزه يجد أنّه لا يعبر عن إرادته، بل عن الإرادة العامّة للوجود التي تسيره كما شاءت، هنالك نواح لا نستطيع أن ندركها عن طريق العلم مثل معرفتنا بنفوسنا، ومعرفة العدل والجمال، ومعرفة الفكاهة والمزاح، ومعرفة أخلاق شخص آخر، وإنما نعرفها باللقانة (intuition) كذلك نعرف الحقيقة النهائية عن هذا الطريق أي الحدس والالهام.

والفن ذو صلة بالحقيقة الكلية، فالفنان لا يصوّر الوجود كما هو ويعبر عنه فحسب، بل يظهره بشكله الأكمل ويحاول أن يسمو

بالحياة وينظر إلى الأفق البعيد ويتطلّع إلى المستقبل القادم، ويسعى إلى تحسين الحياة ويوجهها إلى التقدّم والكمال، ويُعرّف افلاطون الفن: بأنه الكلي ممثلاً في الجزئي، ونحن نتذوق الفن والتصوير والشعر والأدب عن طريق اللقانة أيضاً.

في القرن التاسع عشر انخدع الناس وأصابهم الغرور للتقدّم والتوسّع الذي حصل في مختلف العلوم كالكيمياء والفيزياء، والأحياء والفلك، وطبقات الأرض، ونشطت لذلك الفلسفة المادية، وآمن بعض الفلاسفة والعلماء مع الأسف، مثل ارنست هيكل، وبخنر، وهكسلي، وسبنسر، بالتطوّر الذي حدث في الأحياء والجمادات كأحسن تفسير للعالم، مع أنّ التطوّر لا يخرج عن مجال العلم ويبيّن لنا فقط الأدوار التي مرّت على الأرض والأحياء. وخلاصة نظرية التطوّر العضوي أنّ أصل الأحياء كائنات حيّة بسيطة تطوّرت خلال ملايين السنين إلى أحياء راقية معقدة، وكانت بعض الأنواع تنقرض وتنشأ أنواع جديدة تختلف عن أصولها لأسباب غير معلومة تماماً في الوقت الحاضر، وتبقى بعض الأنواع محافظة على وجودها، ولكن التطوّر نفسه يحتاج إلى تفسير، فما سرّه وما غايته وما نهايته ولا يوضح التطوّر أصل الوجود، فما هو الأصل الذي نشأت منه الأشياء؟ هل هو النور أو الهواء أو الماء أو الهيدروجين أو غيرها.

والمتعمّق في الدين يعرف أن نظرية التطوّر لا تعارض الدين بل تؤيّده.

إنّ نظرية التطوّر تقول: إنّ كلّ شيء في الوجود من أشياء وأحياء معرضة دائماً للتغير. والدين يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾، الدين يقول: إنّ الثبات والخلود لله تعالى شأنه، والأشياء كلّها متغيّرة أو فانية أمّا أن يكون لها وجود مؤقّت في الحاضر، أو معدومة في الحقيقة، والوجود لله وحده لا شريك له، وبقاؤها على حالها أو تغيرها أو فناؤها ورجوعها إليه منوط بإرادته. فالله قد جعل التطوّر في الطبيعة ولو أراد أن يوقف التطوّر لقدر وفعل، والطبيعة من الله وتطوّرها منه.

فالدين لم ينشأ منذ القدم بسبب الخوف والرجاء، الخوف من شرور الطبيعة، والرجاء من الله في دفعها، كما ظنَّ بعض الكتّاب والمؤرّخين، ولم ينشأ لخداع الجماهير وصرفها عن واقعها الاجتماعي المر، بل نشأ كالفلسفة والعلم للوصول إلى الحقيقة، والبحث عنها وسار مع العلم والفلسفة دوماً.

وما نجد عند أهل الدين أحياناً من أعمال وطقوس وآراء تتعارض مع الحقيقة بصورة أكيدة، فهي طارئة على الدين وليست من جوهره.

وأهم الأدلة على إثبات الصانع ووجود الله، وإن الطبيعة المحسوسة ليست أصل الوجود ما يأتي:

١-برهان الخلق: وخلاصته أنّ كلّ موجود وكلّ شيء من مادة وطاقة وأحياء يتوقف وجوده على غيره من الموجودات. وهذا يتوقّف على غيره دون أن نرى ضرورة وجوده لذاته. وهذه الظاهرة في الأشياء أدت إلى التركيب والتعقيد الشديد في الوجود وارتباط الموجودات مع بعضها، فلا بدّ إذن لهذه الموجودات من سبب لوجودها لا يتوقف وجوده على وجود آخر، ويعبّر عنه في الفلسفة وعلم الكلام بواجب الوجود أو الله، أمّا الأشياء فممكنة الوجود.

٢-مع ما نلاحظ في الوجود من تنوّع وتعقيد، وتغيّر مستمر، تحليل يعقبه تركيب، وتركيب يعقبه تحليل. نلاحظ أيضاً أنّ النظام يسود العالم والتغير الذي يحدث في الطبيعة في الغالب تغير بطيء، والتغير السريع نادر، وأقل حدوثاً، فالله يحفظ الوجود غالباً ويغيره تارة ويفنيه تارة أخرى.

٣-الجمال يسود العالم ونعيه ونحس به كالنور والألوان الجميلة والأصوات الجميلة وجمال الطبيعة وجمال الاحياء، والجمال مرتبط بالنظام.

٤-خوارق العقل الإنساني المنجلية في اكتناه الفكر لأسرار الكون وفي الرؤيا الصادقة المنبئة عن حوادث الغيب، وفي التنويم المغناطيسي، وقراءة الأفكار.

٥-خوارق الطبيعة التي قام بها الأنبياء والأولياء.. وغيرها.

[كتاب مبادئ الإيمان]

# يوم القيامة وضرورة المعاد

الشيخ جعفر السبحانيّ

**تَتّفِقُ جميعُ الشَرائعِ السَّماويّة في لزوم الإيمان بالآخرة ووجوب الاعتقاد بالقيامة، فقد تحدّث الأنبياءُ جميعاً ـ إلى جانب التوحيد ـ عن المَعاد، وعالم ما بعد الموت أيضاً. وجَعَلُوا الإيمانَ باليوم الآخر في طليعة ما دَعَوا إليه.**

**وعلى هذا الأساس يكونُ الاعتقاد بالقيامة من أركانِ الإيمان في الإسلام.**

**إنّ مسألةَ المعاد وإن طُرحَت في كتاب العهدين (التوراة والإنجيل معاً) إلّا أنّها طُرحت في العَهد الجديدِ بشكلٍ أوضح، ولكنّ القرآنَ الكريمَ اهتمّ بهذه المسألة أكثر من جميع الكتب السماوية الأُخرى، حتى أنَّهُ اختص قسمٌ عظيمٌ من الآيات القرآنية بهذا الموضوع.**

وقد أُطلق على المعاد في القرآن الكريم أسماءٌ كثيرة مثل: يـومِ القيامة، يوم الحِساب، اليوم الآخر، يوم البعث وغير ذلك.

وعلّة كلّ هذا الإهتمام والعِناية بمسألة القيامة هي أنّ الإيمان والتديّن من دون الإعتقاد بيوم القيامة غير مثمر.

لقد أقام الحكماء والمتكلّمون المُسلمون أدلّة عديدة ومتنوعة على ضرورة المعاد، وحياة ما بعد الموت، وفي الحقيقة كان القرآن الكريم هو مصدر الإلْهام في جميع هذه الأدلّة.

من هنا فإننا نذكر بعضَ الدلائل القرآنية على هذه المسألة:

أ: إنّ الله تعالى حقٌّ مطلقٌ، وفعلَهُ كذلك حقٌّ، منزّهٌ عن أي باطلٍ ولغوٍ. وخَلق الإنسانِ من دونِ وجودِ حياةٍ خالدةٍ سيكون لغواً وعبثاً كما قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ب: إنّ العدلَ الإلَهيَّ يوجبُ أن لا يعامَل المحسنون والمسيئون في مقام الجزاءِ على شكلٍ واحدٍ.

ومن جانبٍ آخر أنّه لا يمكن تحقّقُ العدالةِ الكاملةِ بالنسبة إلى الثَّوابِ والعِقاب في الحياة الدنيوية، لأنّ مصيرَ كلا الفريقين في هذا العالم متداخِلَان وغير قابلَين للتفكيك والفَصل.

ومن جهة ثالثة فإنّ لِبعض الأعمال الصالحة، والطالحة جزاءً لا يسع له نطاقُ هذا العالم.

فَمَثَلاً هناك من ضَحّى بنفسِه في سَبيل الحق، وهناك من خضّب الأرض بدماء المؤمنين.

لهذا لا بُدَّ مِن وجود عالمٍ آخر يتحقَّق فيه العدلُ الإلَهيّ الكاملُ في ضوءِ الإمكانات غير المتناهية. كما قال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

ويقولُ أيضاً: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤].

ج: إن خلقَ البشَر بَدَأَ في هذا العالم من ذَرّةٍ حقيرةٍ، ثمّ ترقّى في مدارج الكمال الجسمي شيئاً فشَيئاً، حتّى بَلغَ مرحلةً نُفِخَت فيه الرُّوح في جسمه.

وَقدْ وَصَفَ القرآنُ الكريمُ، خالقَ الكون بكونه (أحسنَ الخالقين) نظراً إلى تكميل خلقِ هذا الموجودِ المتميّز.

ثمّ إنّه ينتَقل بالمَوْت من مَنْزله الدنيويّ إلى عالمٍ آخر، يُعتبَر كمالاً للمرحلة المتقدّمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى؛ إذ قال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٤ – ١٦].

صرّحت الآيات القرآنية والأحاديث على

أنّ معاد الإنسان: جسماني وروحاني، ويراد من الأوّل هو حشر الإنسان ببدنه في النشأة الأُخرى، وأنّ النفس الإنسانية تتعلّق بذلك البدن في تلك النشأة فيثاب أو يعاقب بأُمور لا غنى في تحقّقها عن البدن والقوى الحسية.

ويراد من الثاني أنّ للإنسان وراء الثواب والعقاب الحسيّين لذّات وآلاماً روحيّة ينالها الإنسان دون حاجة إلى البدن، وقد أُشير إلى هذا النوع من الجزاء في قوله سبحانه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

فرضوانه سبحانه من أكبر اللذائذ للصالحين، كما أنّ الحسرة من أكبر الآلام للمجرمين.

**البرزخ**

ليس الموت نهاية للحياة وانعدامها، بل انتقال من نشأة إلى أُخرى، وفي الحقيقة إلى حياة خالدة نعبّر عنها بالقيامة، بيد أنّ بين النشأتين نشأة ثالثة متوسطة تدعى بالبرزخ، والإنسان بموته ينتقل إلى تلك النشأة حتى قيام الساعة، إلّا أنّنا لا نعلم عن حقيقتها شيئاً، سوى ما جاء في القرآن والأحاديث، ولنذكر طائفة من الآيات القرآنية بغية التعرّف على ملامح تلك النشأة.

أ- انّ المحتضر إذا وقف على سوء مصيره يتمنّى عوده إلى الدنيا ليتدارك ما فات منه، يقول سبحانه: ﴿حَتَّى إِذا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾(المؤمنون:٩٩-١٠٠).

ولكن يخيب سعيه، ويُردُّ طلبه، ويقال له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(المؤمنون:١٠٠). والآية تحكي عن وجود حياة برزَخية مخفية للمشركين.

ب- ويصف حياة المجرمين، لاسيما آل فرعون، بقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾(غافر:٤٦).

فالآية تحكي عن أنّ آل فرعون يعرضون على النار صباحاً ومساءً، قبل القيامة. وأمّا بعدها فيقحمون في النار.

ج- ويصف سبحانه حياة الشهداء في تلك النشأة، بقوله: ﴿ولا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾(البقرة:١٥٤).

ويصف في آية أُخرى حياة الشهداء بقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(آل عمران:١٧٠).

[العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت]

أوراق علمية

# معنى التلازم وأقسامه وأنواعه

الشيخ محمد مهدي النراقي

وتنقيح البحث عنه يتوقّف على بيان امور:

[الأمـر] الأوّل: التلازم نسبة بين شيئين مصحّحة للحكم باستصحاب أحدهما الآخر في الصدق الواقعي أو التقديري، فصدقها لا يستلزم صدقهما، بل قد تصدق بين كاذبين نحو «إن كان زيد حمارا، كان ناهقا».

أو بين كاذب وصادق على أن يكون الملزوم كاذبا نحو «إن كان زيد حمارا، كان حيوانا» دون العكس، وإلّا لزم صدق الكاذب وكذب الصادق ؛ لاستلزام كذب اللازم كذب الملزوم، وصدق الملزوم صدق اللازم. وهذا في الملازمة الكلّيّة الدائمة، وهي أن يكون تقدير صدق الملزوم فيه مستلزما لصدق اللازم في جميع الأزمان على جميع الأوضـاع. دون الجزئيّة، وهي أن يكون ذلك في بعض الأزمـان، أو بعض الأوضاع ؛ فإنّه يجوز صدقها بين صادق وكاذب ؛ لجواز أن يكون صدق الملزوم على بعض الأوضــاع، وصـدق الملازمـة الجزئيّة على بعض الأوضاع الأخر، فلا يلزم المحذوران.

فإنّا إذا قلنا: «إذا كان الشيء حيوانا كان ناطقا»، يصدق الملزوم، وهو كون الشيء حيوانا على بعض الأوضاع وهو وضع الفرسيّة مثلا، ويكذب اللازم وهو كونه ناطقا، وحينئذ يكذب الملازمة، إلّا أنّها صادقة على بعض الأوضـاع الأخـر، وهو وضع الإنسانيّة، وإن لم يكن الملزوم حينئذ صادقا، ولذا لا ينتج الجزئيّة في القياس الاستثنائي، وليس فيها كثير فائدة في المقاصد العلمية.

[الأمـر] الثاني: التلازم إمّا شرعـي، كتلازم القصر والإفطار في الصلاة والصوم المستفاد من قولهعليه السلام: «**إذا أفطرت قـصّرت، وإذا قـصّرت أفطرت**»[1].

أو عقلي، كتلازم الأمر بشيء والنهي عن ضدّه، والأمـر بالشيء والأمـر بمقدّمته، وغير ذلك من الملازمات العقليّة الثابتة في الاصـول، وربّما كان بعضها منصوصا من الشرع أيضا.

[الأمـر] الثالث: التلازم إمّا أن يكون طردا وعكسا، أي من الطرفين. أو طردا فقط، أي من طرف واحد. فهذا شقّان.

وأيضا إمّـا أن يكون نسبة بين حكمين، أو مفردين. والغالب أنّ التلازم بين الأخيرين لا ينفكّ عن التلازم بين الأوّلين.

والحكمان إمّا وجوديّان ـ أي مثبتان ـ وإن كان مفرداته عدميّة، أو عدميّان، أو وجودي وعدميّ، أو بالعكس. فهذه أربعة أصناف.

وأيضا لمّا لم يمكن أن يوجد [تلازم] بين الخاصّ والعامّ من وجه، فهو إمّا أن يكون بين المتساويين، أو بين الخاصّ والعامّ مطلقا، أو بين المتنافيين طردا وعكسا، أي إثباتا ونفيا، أو المتنافيين طردا فقط، أي إثباتا، أو عكسا فقط، أي نفيا. فهذه خمسة أنواع،

(١) الفقيه: ج١ / ص ٤٣٧، ح ١٢٧١، بتقديم قصَّرت وأفطرت في الفقرتين.

فلينظر أيّ الشقّين والأصناف في أيّ الأنواع يجري.

النوع الأوّل: المتساويان، كالإنسان والناطق. ويجري فيه الصنفان الأوّلان بالشقّ الأوّل، أي التلازم بين الوجوديّين والعدميّين كليهما طردا وعكسا، فيصدق: كلّ ما كان إنسانا كان ناطقا، وبالعكس، و: كلّ ما لم يكن إنسانا لم يكن ناطقا، وبالعكس. ففيه يلزم من استثناء عين الملزوم عين اللازم وبالعكس، واستثناء نقيض الملزوم نقيض اللازم وبالعكس، فيلزم أربع نتائج، فيثبت التلازم في أحد الصنفين بطرده، ويتقوّى بعكسه، وبالصنف الآخر طردا وعكسا، وإنّما يحصل التقوّي بما ذكر إذا تناوله أيضا دليل التلازم، وإلّا فلا. وكذا الحال في باقي الأصناف الآتية. ولا يجري في هذا النوع الصنفان الآخران مطلقا ؛ بمنافاتهما للتساوي.

النوع الثاني: الخاصّ والعامّ مطلقا، كالإنسان والحيوان. ويجري فيه الصنف الأوّل بالشقّ الثاني، أي التلازم بين الوجوديّين طردا فقط، فيصدق: كلّ ما كان إنسانا كان حيوانا، دون العكس. ويجري فيه الصنف الثاني عكسا، فيصدق: كلّ ما لم يكن حيوانا لم يكن إنسانا، ففيه يلزم من استثناء عين الملزوم عين اللازم، ونقيض اللازم نقيض الملزوم، فيلزمه نتيجتان، فالتلازم في الصنف الأوّل يثبت بطرده، ويتقوّى بعكس الصنف الثاني. ولا يجري فيه الصنفان الآخران ؛ لمنافاتهما للعموم والخصوص.

النوع الثالث: المتنافيان طردا وعكسا، أي إثباتا ونفيا، كالزوجيّة والفرديّة ؛ فإنّهما لا تجتمعان ولا ترتفعان. ويجري فيه الصنفان الآخران بالشقّ الأوّل ـ أي تلازم الوجوديّ والعدميّ وبالعكس ـ طردا وعكسا، فيصدق: لو كان زوجا لم يكن فردا، ولو كان فردا لم يكن زوجا، ولو لم يكن زوجا كان فردا، ولو لم يكن فردا كان زوجا، وفيه تنافيان، وفي كلّ منهما لازمان، فيلزم باعتبار التنافي إثباتا أن يكون وجود كلّ منهما مستلزما لعدم الآخر، فيلزم من استثناء كلّ واحد منهما نقيض الآخر. وباعتبار التنافي نفيا أن يكون عدم كلّ منهما مستلزما لوجود الآخر، فيلزم من استثناء نقيض كلّ منهما عين الآخر، فيلزمه أربع نتائج، فالتلازم في أحد الصنفين فيه يثبت بطرده، ويتقوّى بعكسه، وبالصنف الآخر طردا وعكسا. ولا يجري فيه الصنفان الأوّلان، ووجهه ظاهر.

النوع الرابع: المتنافيان طردا فقط، أي إثباتا، كالحيوان والجماد ؛ فإنّهما لا يجتمعان وقد يرتفعان، كما في الشجر. ويجري فيه الصنف الثاني بالشقّ الأوّل ـ أي تلازم الوجوديّ والعدميّ ـ طردا وعكسا، فيصدق: كلّما كان حيوانا لم يكن جمادا، وكلّما كان جمادا لم يكن حيوانا. ولا يجري فيه الصنف الرابع، فلا يصدق: كلّ ما لم يكن حيوانا كان جمادا، وكلّ ما لم يكن جمادا كان حيوانا، فيلزم

من استثناء كلّ واحد منهما نقيض الآخر لا غير، فتلزم نتيجتان، فيثبت التلازم فيه بالطرد، ويتقوّى بالعكس. وعدم جريان الصنفين الأوّلين فيه مطلقا ظاهر.

النوع الخامس: المتنافيان عكسا فقط، أي نفيا، كاللارجل واللاامرأة ؛ فإنّهما لا يرتفعان وقد يجتمعان، كما في الشجر مثلا. ويجري فيه الصنف الرابع بالشقّ الأوّل ـ أي تلازم العدميّ والوجوديّ ـ طردا وعكسا، فيصدق: كلّما لم يكن بلا رجل فهو لا امرأة، وكلّما لم يكن بلا امرأة فهو لا رجل. ولا يجري فيه الصنف الثالث، فلا يصدق: كلّ ما كان بلا رجل لم يكن بلا امرأة، وكلّ ما كان بلا امرأة لم يكن بلا رجل، فيلزم من استثناء نقيض كلّ منهما عين الآخر لا غير، فتلزمه أيضا نتيجتان، ويثبت التلازم فيه بالطرد، ويتقوّى بالعكس. وعدم جريان الصنفين الأوّلين فيه أيضا ظاهر.

[ الأمر ] الرابع: لا يخفى في حجّيّة التلازم إذا علم ثبوته شرعا أو عقلا، وعلم تحقّق الملزوم من نفي أو إثبات أيضا، فمن ادّعى التلازم في حكمين، وأثبت تحقّقه وتحقّق الملزوم بالشرع أو العقل، فلا كلام معه، وإلّا فللمانع منعهما.

وفي التلازم شبهة مشهورة، وهي أنّه إمّا معدوم في الخارج، أو موجود فيه. والأوّل باطل؛ لأنّه لا فرق بين التلازم العدميّ وعدم التلازم ؛ لعدم التمايز بين المعدومات. والثاني أيضا باطل؛ لأنّه مغاير للطرفين ؛ لإمكان تعقّلهما بدونه، ولكونه نسبة، والنسبة مغايرة للطرفين، وحينئذ لا يخلو إمّا أن يلزم ذلك التلازم لأحدهما، أو كليهما، أم لا.

فعلى الأوّل ينقل الكلام إلى التلازم الثاني، ويلزم التسلسل في الملازمات الموجودة في الخارج.

وعلى الثاني يمكن ارتفاعه عن المتلازمين، فيلزم جواز الانفكاك بينهما، فيلزم انهدام اللزوم على فرض وجوده، هذا خلف.

والجواب: اختيار كونه معدوما، ومنع كون التمايز من خواصّ الموجودات الخارجيّة ؛ لأنّه يوجد في غيرها أيضا، كما بين عدمي العلّة ومعلولها، وبين عدمي الشرط والمشروط به.

فإن قيل من رأس: لو لم يكن التلازم موجودا في الخارج، فإمّا أن يمتنع الانفكاك بين المتلازمين فيه، أو لا، فعلى الأوّل يلزم تحقّق وجود التلازم في الخارج على تقدير انتفائه فيه. وعلى الثاني ينهدم التلازم.

قلنا: نختار امتناع الانفكاك بينهما في الخارج، بمعنى كون الخارج ظرفا لنفسه لا لوجوده، وحينئذ لا يلزم وجود التلازم في الخارج، بمعنى كون الخارج ظرفا لوجوده، ولا نفيه فيه بالكلّية ؛ إذ لا يلزم من انتفاء مبدأ المحمول انتفاء الحمل الخارجي؛ فإنّ العمى معدوم في الخارج، مع أنّ الأعمى يحمل على موضوعه حملا خارجيّا.

ولا يخفى أنّ هذه الشبهة إمّا أن تستلزم رفع

التلازم، أو لا. فعلى الأوّل يثبت التلازم، وعلى الثاني لا يعتدّ بها.

إذا عرفت ذلك، فلنذكر من كلّ صنف مثالا من الأحكام الشرعيّة ليظهر كيفيّة التفريع:

فالأوّل كما يقال: من سافر أربعة فراسخ ناويا للرجوع في يومه يجب عليه الإفطار؛ لوجوب القصر عليه. وثبوت الملازمة بينهما بالنصّ والاستقراء.

والنصّ قوله عليه السلام: «**إذا قصّرت أفطرت، وإذا أفطرت قصّرت**».

فبالنصّ يثبت الملازمة بالطرد، ويتقوّى بالعكس، ويعكس إذا عكست. ولا يتقوّى بالتلازم بين عدميهما طردا وعكسا؛ لعدم تناول النصّ له.

والاستقراء هو أنّا تتبّعنا فوجدنا [ أنّ ] كلّ موضع يجب فيه القصر يجب فيه الإفطار وبالعكس، ووجدنا [ أنّ ] كلّ موضع لا يجب فيه القصر، لا يجب فيه الإفطار وبالعكس، فبالاستقراء يثبت التلازم بالطرد، ويتقوّى بالعكس وبالتلازم بين عدميهما طردا وعكسا.

وحاصله ثبوت الحكم بدوران وجوب القصر مع وجوب الإفطار وجودا وعدما.

وقد تقرّر بوجه آخر: وهو أنّه يثبت أحد الأثرين فيثبت المؤثّر، وبثبوته يثبت الأثر الآخر. أو يقال: قد ثبت أحد الأمرين، فيلزم ثبوت الآخر؛ للزوم ثبوت المؤثّر للثابت واستلزامه للآخر، ولمّا لم يغيّر المؤثّر لا ينتقل إلى قياس العلّة.

[ المثال ] الثاني: كما يقال: لا يصحّ هذا التيمّم لعدم اشتماله على النيّة؛ لعدم صحّة الوضوء بدونها، وثبوت الملازمة بينهما في الأحكام. أمّا الأوّل فظاهر. وأمّا الثاني فبالاستقراء، وهو أنّا تتبّعنا فوجدنا [ أنّ ] كلّ ما لا يصحّ الوضوء بدونه، لا يصحّ التيمّم بدونه وبالعكس. وكذا وجدنا التلازم بين صحّة الوضوء وصحّة التيمّم طردا وعكسا، فيثبت المطلوب بالطرد، ويتقوّى بعكسه وبالتلازم بين الصحّتين طردا وعكسا. ويرجع أيضا إلى الدوران. وقد تقرّر بأنّ انتفاء أحد الأثرين يوجب انتفاء المؤثّر فينتفي الأثر الآخر. أو يقال: قد انتفى أحد الأثرين، فيلزم انتفاء الأثر الآخر؛ للزوم انتفاء المؤثّر. وربّما يمنع التلازم هنا؛ لعدم حجّيّة الاستقراء، أو لعدم تماميّته هنا.

[ المثال ] الثالث: كالمباح وعدم الحرمة.

[ المثال ] الرابع: بالعكس.

ويقرّر التلازم فيهما بثبوت التنافي بين المباح والحرمة.

وقد ظهر ممّا تقدّم أنّ ثبوته فيهما بماذا، وتقوّيه بماذا.

[أنيس المجتهدين]

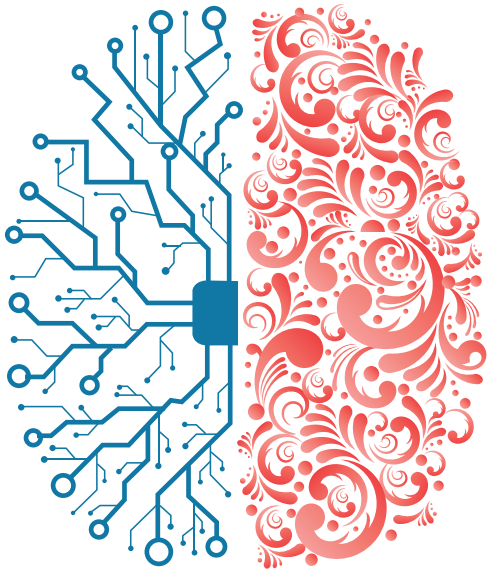

# عدم تنافي الأحكام الشرعية مع الفطرة والعقل

السيد محمد باقر السيستاني

س: إنَّ هناك حديثاً حول العديد من الأحكام الشرعيّة على أنّها مخالفةٌ لما أُشير إليه من المبادئ العامّة الفاضلة للتّشريع في الدّين، ومن ذلك..

1. جملة من الأحكام التي تتضمن التفريق بين الذكر والأنثى في التشريع، إما بشكل عام كالفرق بينهما في الميراث، أوفي الستر والحجاب.
2. جملة من الأحكام الجزائيّة على الجرائم، حيث تبدو قاسيةً وشديدةً مثل جزاء ارتكاب المُحصَن للفاحشة والسرقة والمحاربة وغيرها.

إلى غير ذلك من الأحكام الواردة في النصوص الشرعيّة أو فتاوى فقهاء المسلمين، من قبيل تجويز تزويج الولي للقاصر، فما هو مبنى هذه الأحكام وكيف تنسجم مع مباني العدالة؟

ج: ينبغي الانتباه ابتداءً إلى أنَّ هذا الحديث لا يختص بدين الإسلام كما يعلمه المطّلعون على الأديان الأخرى، فكلُّ الأديان تقريباً تشتمل على تشريعات وإرشادات، يتوجه في جملة منها التساؤل عن مدى تطابقها مع القيم الفطرية.

ويطرح التساؤل عن هذه الأحكام في الدين في سياقين:

**السياق الأول:** سياق التشكيك في أصل حقانيّة الدّين وصدقه، لأنّه لم يتحرّ العدالةَ في تشريعاته رغم تبنّي خطابه إياها.

**السياق الثاني:** توفير فهم أوثق وأمثل للدّين يَسلم من أيّ شيءٍ يخالف الفطرة بشكل بيّن.

والواقع أنَّ التشكيك في حقانية الدّين من منطلق هذه الموارد أمر غير وارد، وذلك انطلاقاً من مبدأ بديهي من خلال النصوص الإسلامية ـ المتمثلة في القرآن الكريم ـ من أنَّ تحرّي القيم الفاضلة والعادلة يمثّل الدستورَ الأساسَ للدّين الممثّل لخُلُق الله سبحانه وصفاته الكريمة، كما يلحظ ذلك في جلّ المنظومة التشريعية الدينية، وهذا أمر يلمسه أي باحث متأمل في نصوص الدّين تأملاً جامعاً حتى إذا لم يكن مؤمناً بالدين، فهو يجد أنَّ هذا الخطاب يسعى في تحرّي العدالة والقيم الأخلاقية في تشريعاته كما يجد أنّه قد خَطا خطواتٍ واسعةً في هذا السبيل، وغيّر كثيراً من التشريعات السائدة في اتجاه العدالة.

وعليه فمن المستحيل أن يكون هناك شيء واضح من الدّين وهو في عين الحال مخالف لإدراك العقل الواضح بشكل عابر للزمان والمكان.

وعليه فإنّ ما تراءى لا محالة لا يخرج عن أحد حالين:

١) أن يكون ثبوته عن الدين على الوجه المنافي مع العقل متوهماً.

٢) أن يكون وضوح مخالفته للعقل متوهماً.

فما كان مخالفاً مع العقل والفطرة بوضوح ينبغي اعتباره منتفياً عن الدين كذلك، فإن دلّ عليه نص قطعي كان مخرجه أن يُعتَبر من المتغيّر الذي كان ملائماً في حينه وإن دلّ عليه نص غير قطعي في صدوره أو دلالته اقتضى تجديد النظر في أصله فضلاً عن مدى ثباته وتغيره.

ومن الممكن اختلاف نظر الفقهاء فيما هو المَخرَج الملائم مع كلّ موردٍ من هذه الموارد.

وهذا جواب إجمالي على هذه الموارد.

[السيّد محمّد باقر السيستاني]

أوراق تاريخية

# الزعيم الموهوب

# السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره)

الشيخ محمد رضا المظفر

كثر تساؤل الناس —اليوم وبعد اليوم— عن الفقيد العظيم آية الله السيد أبي الحسن (قدس سره) وعن سرّ عظمته الذي جعله في هذا المركز الكبير، وكيف أصبح مهوى قلوب جميع الطائفة الإمامية من المسلمين، ويكثر التساؤل على الأخص من البعيدين عنه. وأنا كإخواني الذين كان لهم شيء من الاتصال به أو التردد عليه أجد أني مأخوذ للجواب عن هذا التساؤل وأحق من يستطيع أن يأتي بالطريف من حياة هذا العظيم.

لقد تحدثت، عن شيء من سرّ عظمته، ووجدتني في آخرها لم أعط الموضوع حقّه ورجوت أن أعود عليه في فرصة أخرى، وما أظنني قد وجدت هذه الفرصة الكافية التي كنت أطلبها ولكني أعود الآن، والرجاء باق احتفظ به كخط للرجعة.

حقّاً إنّي مسحور بهذا الرجل العظيم، ولا أنكر ذلك من نفسي، ولكن على كل حال أنا كواحد من الناس الذين عرفوه، فإن لم يكن كما نصوّره في أفكارنا أكبر شخصيّة دينية عرفناها فإنّ تأثيره على أمثالنا الذي يجعلنا مسحورين بشخصيته إلى هذا الحدّ هو كاف للدلالة على أنّه عظيم في شخصيته كبير في تأثيره على الجماهير فريد في قيادته للناس.

أقول هذا ثم أرجع فأقول: لاشك في أنّ شيئاً كبيراً من تأثير المرجع الديني الأعلى عند الإمامية وانقياد الناس له لم يكن راجعاً إلى مؤهّلاته الشخصية بمعنى أنّ طاعة الناس المقلد العام ووجوب اتباعهم اياه لا ينشأ من شخصه نفسه وما له من صفات وتأثير، بل إنّما ينشأ من التعاليم الدينية التي جاءت عن أئمتنا عليهم السلام: فقد فتحوا باب الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وجعلوا للمجتهد الجامع للشرائط النيابة العامة عن الإمام، له ما للإمام من الحكم والنفوذ في التصرف ووجوب الطاعة والانقياد له، وأوجبوا تقليده في الأحكام على من لم يبلغ درجة الاجتهاد، بل حكمه وقضاؤه في الأموال والموضوعات الأخرى واجب التنفيذ حتى على باقي المجتهدين الآخرين.

فالمجتهد عند الإمامية من القداسة الروحية الكبرى التي هي من فروع الإمامة عندهم بل من شؤونها ما ليس يوجد عند أية طائفة أخرى من المسلمين تضفيها عليه التعاليم الدينية الواردة عن الأئمة عليهم السلام فالرادّ عليه رادّ عليهم والرادّ عليهم رادٌّ على الله تعالى كما في الخبر.

فالسيد الفقيد كواحد من مراجع التقليد الذين توفقوا للصعود إلى هذه القمة إنّما كان آية الله وكان موئلاً للناس، ومهوىً لأفئدتهم ومطمحاً لأنظارهم، وزعيماً قائداً، وسيداً مرشداً، لأنه تردّى برداء الإمامة، ولبس ثوب الزعامة الدينية فيرون وجوب طاعته كما يرونها للإمام تقريباً، ويقدّسونه لأنه نائب الإمام العام بنص الإمام، فتجلب له الأموال والحقوق الشرعية من كل حدب وصوب ويرجع إلى رأيه في الشؤون الدينية والأحكام الشرعية صغيرها وكبيرها عن عقيدة وإيمان.

غير أنّ هذه المرجعية والنيابة عن الإمام لا تكون إلّا لمن جمع شرائطها وأهمّها الاجتهاد والعدالة وألّا يكون مقبلاً على الدنيا، فقد ورد عن أهل بيت

العصمة في تحديد ذلك قولهم: «**من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه**».

وزبدة المخض أن فقيدنا المرحوم (نور الله ضريحه) كأحد مراجع التقليد إنّما كان له هذا النفوذ والتأثير؛ لأنّه توفّق إلى أن يتقلّد هذا المنصب الإلهي الكبير، فالتأثير والنفوذ للمنصب لا لشخصه الكريم.

هذا ما يجب أن يقال إذا أريد الحديث عن كل شخص كانت له الزعامة الدينية المطلقة عند الإمامية، غير أن السيد الفقيد عرف كيف يملأ هذا الدست، وكيف يعطي لهذا المنصب حقّه، وجمع إلى نفوذ المنصب وتأثيره مواهب الزعيم الموهوب وصفات القائد المحنّك وشخصية النوابغ العظماء.

وهذا ليس بالشيء القليل، أو فقل ليس بالذي يقال من شأن الشخص وقيمته الذاتية، فإنّ كل صاحب منصب ديني أو مدني حتى الملوكية إنّما يكون التأثير الحقيقي للمنصب نفسه، ولكن المنصب كالآلة في يد صاحبه والرجل كل الرجل من يستطيع أن يصرّف تلك الآلة ويحسن العمل بها، بل أهمية المنصب وبلوغه القمّة يتّبع قيمة الشخص الذي يتربّعه باستحقاق وجدارة، فإذا كانت له مؤهلات العظماء ومواهب النوابغ ارتفع إلى أعلى الدرجات التي يمكن أن يبلغها ذلك المنصب، والعكس بالعكس.

وكذلك السيد أبو الحسن (طاب ثراه) في تربّعه دست الزعامة الدينية العامة كان من العظماء النوابغ الذين ارتفع بهم المنصب إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه حتى صدق عليه ما قيل في حقّه «أنّه ضرب الرقم القياسي في الزعامة الدينية».

قلت آنفاً إنه جمع إلى نفوذ المنصب مواهب الزعيم الموهوب، وأوضح قصدي هنا فأقول: إنّه جمع إلى الشرائط التي جعلته أهلاً لهذا المقام الروحاني الكبير صفات ليست هي في الحقيقة من شروط هذا المنصب، ولكنّها صفات جعلته في القمّة من الزعماء.. منها كرم نفسه وسماحة كفّه فإنّه بلغ فيهما حدّاً يتجاوز المألوف في مشاهير أهل الكرم والسماحة، فقد كان ألذّ شيء عنده في الدنيا – كما كان يقول – أن يجيئه صاحب حاجة فيسأله ما يجده ليعطيه ولقد أثبت هذا القول بالعمل وزاد، ومن بوادر

سماحته التي ضرب بها المثل صرفه ثمن داره في الخير لطلّاب العلم والفقراء وقد بذل الثمن أحد الأثرياء لشراء دار لسكناه، وكان يومئذ لا يملك داراً ولا عقاراً وذلك في أول رجوع الناس إليه.

وكلّ العبارات التي تحضرني في وصف الكرماء السابقين كقولهم «يعطي عطاء من لا يخاف الفقر» فلا أجدها وافية للتعبير عما كان عليه من الكرم والسماحة، وأحسن ما يقال فيه «أنّه كان لا يجد للمال قيمة إلّا أن يعطي».

ومن الغريب أن أكثر، ما كان يصرفه من الأموال الطائلة التي تبلغ في الشهر ثلاثين ألف دينار فأكثر كان يستدينها بذمّته من التجار ثم يوفّيها لهم نقداً أو بالحوالات على إيران وغيرها فهو يصرف قبل أن يجد ليجد ما يصرف، ولذلك لمّا توفي رحمه الله كان في ذمته للتجار ما يقارب ستة وعشرين ألف دينار وقد وفّيت بعد وفاته.

ومنها (علو همّته) فقد كانت تناطح الثريا فإنّه كان يستصغر كل أمر مهما عظم ولا يجد على نفسه من المستحيل أن يهيمن على أمور جميع الناس بمفرده ويدبّرها بتدبيره وقد كان بالفعل كذلك فلا يعتمد على أحد سواه في تسيير الشؤون العامّة والخاصّة، ولا يمكن أن ينسى الإنسان ذلك المنظر المهيب المتواضع في وقت واحد، فإنّك كلّما دخلت عليه وجدته جالساً على فراشه في غرفته الصغيرة التي ليس فيها ثمين يذكر إلّا شخصه الكريم بين رزم من الأوراق المتناثرة تحيط به كالهالة، والدواة لا تفارقه كما لا تفارق طرف خنصره الأيمن بقعة سواد المداد الذي يزود به خاتمه المعلق في صدره ليطبعه بين لحظة وأخرى على جواب استفتاء أو حوالة أو جواب رسالة، وحكم في قضية متنازع فيها أو شهادة أو تحويل في صرف مال أو تصرّف في حق أو توكيل شخص في بلد أو شهادة اجتهاد أو نحو ذلك مما يعجز القلم عن عدّه.

وهو في كل ذلك دائب العمل ليل نهار بلا انقطاع إلّا لصلاة أو لمقابلة شخص محترم أو لمحادثة صاحب حاجة أو لهجعة نوم كقبسة العجلان لا تتجاوز الساعتين ولذلك كان نومه غراراً في الليل والنهار فهو ينام ساعتين ليستيقظ مثلها ثم ينام ساعتين أخرى ليستيقظ كذلك وهكذا دواليك في ليله وطرف من نهاره وكان أحب ساعات اليقظة إليه ساعات ما بعد نصف الليل إذ يخلو بنفسه إلى أعماله

ومطالعاته وتأملاته من دون أن يشغله أو يضايقه أحد.

ومنها (حلمه) فقد كان عفوه عن المذنبين معه مضرب المثل حتى كاد أن يطمع الناس فيه أن يسيئوا إليه ليعفو عنهم ويغدق عليهم بمعروفه، بل كانت هذه فعلاً طريقة بعض الناس الذين لا يتحرّجون لينالوا معروفه وهو يعلم ذلك منهم ومع ذلك لا يتأخّر عن الإحسان إليهم والعفو عنهم.

ومنها (ذكاؤه وحضور ذهنه ودقّة ملاحظته) فقد كان يعرف الشخص من أول نظرة فيسبر غوره ويدرك ما تجول به خواطره، ولا ينسى الناس مهما تقادم العهد على فراقهم إياه، أما دقّة ملاحظته للاستفتاءات التي ترد إليه على كثرتها وازدحامها فإنها مما لا تصدّق، فقد يستعمل بعض الناس التمويه في الاستفتاء ليجرّبه مغنماً أو ليحقّ الباطل ويبطل الحق أو ليتستّر به ليسرق مال الناس أو مال الله، ولكن السيد الفقيد العظيم لا تنطلي عليه تلك التمويهات فيكشفها من قرائن خفية يعجب منها الإنسان يعينه على ذلك حضور ذهنه وعدم نسيانه أصغر الأمور، فينبذ مثل تلك الاستفتاءات أو يجيب عنها بجواب مجمل لا يستفيد فيه السائل لغرضه.

جاءه سؤال عن جواز بيع الوقف الآيل إلى التلف من شخص يشرف على أوقاف عامة لها أهميتها (لا أحب أن أذكر اسمه) والجواب معروف عن هذا السؤال بإجماع العلماء ولكن هذا الشخص أراد أن يتذرّع بفتوى العلماء ليجر مغانم كثيرة له ويتلاعب بالوقف فجاء إلى أحد معاصريه العظام فأفتى له بالجواز ثم جاء إلى فقيدنا العظيم فأدرك الهدف من قرينة السائل والمسؤول عنه فلم يجبه بل أرسل سرّاً إلى صاحب الفتوى ليسترجعها منه فلم يرجع السائل إلى بلده إلّا وقد سبقه إليها من ينقذ منه الفتوى [بطريقة لا أحب ذكرها خشية أن يتعين الموضوع]، ومثل هذه الأمور تحدث كثيراً ولا حصر لها ولكن قد لا يعلم بها إلا الله وهو وخاصته.

[موسوعة العلامة الشيخ المظفر]

سير وتراجم نجفية

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

# بين حواريي محمد صلى الله عليه وآله وحواريي عيسى عليه السلام

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

كان لمحمدﷺ حواريون، كما كان لعيسىعليه السلام، ولأي نبي من الأنبياء، ولكن صحابة محمد ما سألوه أن يطعمهم من جوع بآياته ومعجزاته كما فعل أصحاب عيسى الذين قالوا له: نريد أن نأكل منها، ولا أن يؤمنهم من خوف كما فعل أصحاب موسى، بل قالوا له في بعض معاركه بلسان المقداد ابن الأسود:

«امض يا رسول الله لما أرادك الله، فنحن معك، ولا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن نقول:

اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحقّ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتّى تبلغه».

وكانوا يتساقطون شهداء بين يديه، وهم يقولون: فزنا وربّ الكعبة، وروى عنهم التاريخ في ذلك ما يشبه الأساطير. قاتل عمارة بن يزيد يوم أحد، حتّى أثخنته الجراح، ولما أيقن بالموت رمى برأسه على قدمي رسول الله، ولم يرفعه، حتّى فارق الحياة سعيداً بهذه الخاتمة.

وسقط سعد بن الربيع شهيداً في أحد، فقال لأحد أصحابه: قل لرسول الله يقول لك سعد بن الربيع: جزاك عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلغ قومك عنّي السلام، وقل لهم: إنّ ابن الربيع يقول لكم: إنّه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم، ومنكم عين تطرف.

وكان عمرو بن الجموح أعرج، وأراد الخروج مع النبي إلى حرب أحد، فحاول أولاده أن يمنعوه من الخروج، فاشتكى لرسول الله، وقال: إني أرجو أن أعرج الليلة إلى الجنة، فأذن رسول الله له، وقتل هو وأولاده الأربعة، وشقيق زوجته، فجاءت أرملته بعد المعركة، وحملت زوجها وأخاها وأولادها الأربعة على جمل، وذهبت بهم إلى المدينة، فقابلتها النساء يسألنها عن الأخبار.

قالت: أمّا رسول الله فبخير، وكلّ مصيبة بعده تهون، فسألنها: وما هذه الجثث؟ قالت: هؤلاء أولادي وزوجي وأخي أكرمهم الله بالشهادة، وأحملهم لأدفنهم.

هذه أمثلة نقدمها للدلالة على مدى الفرق بين حواريي محمد، وحواريي غيره من الأنبياء. ولا نبالغ إذا ما قلنا: إنّ ما من نبيّ على الإطلاق ظفر بما ظفر محمّد رسول الله ﷺ من أصحاب صدقوا ما عاهدوه عليه. أمّا السر فيكمن في شخصيّته، وعظمة رسالته.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]. لما رأى عيسى منهم الإصرار، وعلم أنهم لا يقصدون العنت والتعجيز دعا الله سبحانه بدعاء العبد الخاضع المتضرع لسيده، منادياً: يا ربنا.. ومنك.. وأنت... دفعاً لكلّ شبهة وتكذيباً لكلّ زاعم أنّ لعيسى فيها يداً، وأنّها من صنعه، لا من صنع الواحد الأحد.. والمراد بالآية المعجزة، وبالعيد الفرحة والسرور.

﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. استجاب سبحانه لتضرع عيسى ليزداد أصحابه ثقة به، وإيماناً بنبوته، وتلزمهم الحجة إذا خالفوا، ويستحقوا أشد العقاب الذي لا يعاقب الله به أحداً ممّن جحد وكفر؛ لأنّهم هم الذين اقترحوا المائدة، وطلبوها بالذات، ومن استجيب إلى طلبه تقوم عليه الحجة، وتنقطع منه كلّ معذرة إذا خالف ونكص.

[تفسير الكاشف: ج٣، ص١٤٨-١٤٩]

# السيّدة الزهراء قدوة للإنسانية

الشيخ محمد مهدي الآصفي

**السيدة فاطمة عليها السلام هي محور الالتقاء والامتداد بين النبوّة والإمامة:**

(سلام الله على فاطمة الزهراء) ملتقى النورين، نور النبوة ونور الإمامة، فهي تحمل نكهة كل منهما وهي تحمل إشراقة كل منهما، إذ هي معصومة، وفي العصمة نكهة وإشراقة من النبوة والإمامة، وهي معصومة بصريح آية التطهير في كتاب الله، وباتفاق أهل القبلة، شيعة وسنة؛ وباتفاق المسلمين جميعاً؛ فاطمة الزهراء كانت من الذين غشّاهم – غطّاهم– رسول الله صلى الله عليه وآله بالكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي؛ عندها نزلت هذه الآية. وهذه الآية صريحة بعصمة الزهراء عليها السلام وأبيها وبعلها وبنيها... والآية صريحة في أنّ الله عز وجل يعصمهم ويذهب عنهم الرجس، والإثم رجس والذنب رجس فلا يمكن أن يصدر عنهم الرجس بعد تصريح الآية الكريمة بأنّ مشيئة الله تعلّقت بذهاب الرجس عنهم.. إذاً فاطمة الزهراء عليها السلام معصومة؛ عصمة الملتقى بين النبوة والإمامة.

**- ماذا تأخذ المرأة المسلمة المعاصرة من الصديقة الزهراء عوناً وذخيرة؟**

المرأة المسلمة تأخذ كل شيء من الزهراء عليها السلام؛ في وعيها وإيمانها وعملها وتحركها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي إدارة البيت وفي تربية الأولاد والبنات والموقف والعمل والحركة والصلاة والعبادة والتهجد والعلم والمعرفة والعمل السياسي والمعارضة تتأسى بها، الزهراء عليها السلام قدوة وأسوة للمرأة المسلمة في كل عصر وفي عصرنا كذلك، والمرأة المسلمة في عصرنا مدعوّة للمشاركة الفعالة الحقيقية، المشاركة في الساحة الأساسية في الحياة، المرأة لها صوت شرعي وعندما أقول شرعي، أقصد أن الله تعالى لم يلغِ صوتها في الحالة السياسية القائمة الآن على أصوات الناخبين، فنحن لا نعرف دليلاً في دين الله يسوغ إلغاء صوت المرأة، والمرأة تشكّل كفاءة علمية وكفاءة عملية وكفاءة سياسية وكفاءة إدارية.. تشكّل بدورها مجموعة كفاءات يجب توظيفها؛ وعلى المرأة أن تستثمر هذه الكفاءات في النهوض بالمجتمع وفي التفاعل في ساحات الحياة، في الساحة الاجتماعية وفي الأعمال الإنسانية وفي الأعمال العلمية: في الحوزة، وفي الجامعة، وفي المنبر الحسيني، وفي الخطابة الحسينية، وفي الكتابة والتأليف، وفي حقول العلم المختلفة: في الكيمياء، وفي الفيزياء، وفي الصيدلة، وكذلك في الأعمال الإدارية.. نعم الإسلام يشترط على المرأة شرطين أساسيين – إنما أقول يشترط يعني أننا نفهم من روح الشريعة ومن مذاق الشريعة أن الشريعة تطلب من المرأة أمرين – أحدهما: منصوص، والآخر: نفهمه من مجمل الأحكام الشرعية:

أما المنصوص: فهو أن المرأة ينبغي لها أن تحافظ على حدود الله في كل مساحات عملها، الإسلام لم يسمح بالامتزاج وإسقاط الحدود –إلغاء الحدود– بين الرجال والنساء؛ هناك حدود بين الرجال والنساء يريدها الله لسلامة المجتمع: إذا المرأة تدخل للجامعة عليها أن تحافظ على الحجاب، إذا كانت تدخل في الدوائر عليها أن تحافظ على الحجاب،

تحافظ على حجابها وتحافظ على وقارها الأنثوي وتحافظ على طريقة كلامها، حتى طريقة ضرب الأرجل ملحوظة في الشرع ومُلفت إليها في الآية ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى هذا ينهى الله عنه، حتى طريقة الكلام وأسلوب الكلام بين الرجال والنساء تكفلت الشريعة بتحديد أطره وضوابطه الموضوعية ما لا يسوغ للمرأة أن تتحدث بطريقة مثيرة مثلاً، ولا يجوز للرجال أن يتحدثوا مع النساء بطريقة مثيرة أيضا من جانب آخر.

(الأمر الثاني): الذي نفهمه من مجمل الأحكام الشرعية أن الله عزّ وجلّ خوّل المرأة مسؤولية الأسرة، والأسرة من دون المرأة تختل وتُربك، والمرأة – الزوجة – هي الركن الأول في بناء الأسرة، فإذا كانت مساهماتها ومشاركاتها تخلّ بسلامة الأسرة فهذا أمر لا يريده الله تعالى وهو أمر محظور، الله عزّ وجلّ يريد سلامة الأسرة ويوليها عناية خاصة، الإسلام يعطي اهتماماً كبيراً لسلامة الأسرة، خروج المرأة من البيت ومشاركاتها في ساحات الحياة إذا كانت مخلّة بسلامة الأسرة فهو أمر مرفوض ومحظور، وبهذين الشرطين:

(الشرط الأول) المحافظة على حدود الله.

و(الشرط الثاني) المحافظة على سلامة الأسرة، وعدم الإخلال بسلامتها.

و(المسألة الثالثة) وهي داخلة في الأولى: قيمومة الرجل على البيت، بما يعين المرأة، فلا تنسق خروجها ومشاركاتها إلا بالتفاهم مع الرجل، وضمن عنوان قيمومة الرجل على الأسرة، ولا يعني ذلك أن الرجل يتعسّف في هذا الحق، الله معطي القيمومة في الأسرة للرجل ولكن الله تعالى لم يأذن للرجال ان يتعسّفوا في استعمال هذا الحق، البيت حصن للمرأة وليس حبساً ولا سجناً، على الرجل أن يعرف أن الله تعالى أعطاه هذا الحق حتى تنتظم الأسرة، ولم يعطه هذا الحق ليحبس المرأة، فإن المرأة المتدينة إذا لم تشارك في المساحات الاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية وتنزل بكفاءتها لإشغال هذه المواقع، فإنها بالتأكيد ستعطي نصيباً من حصتها للمرأة غير الملتزمة لتقوم بمثل هذه المهام المُعلقة؛ فتكون الخسارة والحال هذه كبيرة يصعب تعويضها.

الساحة مفتوحة، إذا لم تشارك المرأة المؤمنة المتعهّدة الملتزمة بالحدود الشرعية في ساحات الحياة، تبقى الساحة فارغة تدخلها المرأة غير الملتزمة بدون عناء، إذا المرأة المؤمنة لم تفتح عيادة طبية ستفتح المرأة غير الملتزمة العيادة الطبية هذه، المرأة الملتزمة إذا لم تكتب، لم تخطب، لم تدخل الآفاق العلمية والحقول العملية فإنها تتيح للمرأة غير الملتزمة ان تدخل وتلج غمار هذه المعطيات وتكون خسارة عند ذلك كبيرة تنعكس على مشاركة هذا الوجه غير المضيء للمرأة في شؤون المجتمع، نحن نريد ان نعطي لمجتمعنا الوجه الإسلامي، والطابع الإسلامي والصبغة الإسلامية.

[السيدة الزهراء قدوة للإنسانية: للشيخ الآصفي]

أوراق جامعية

# ثواب المرض وما على المريض

الشيخ محمّد حسن الجواهريّ

ينبغي للمريض، بل والصّحيح أن لا ينسى ذكر الموت وأن يحسن الظنّ بربّه، وأن يحمده ويشكره، وأن يصبر ويحتسب، ويترك الشكاية، ففي خبر عن سيّد البشر صلى الله عليه وآله: أنّه تبسّم فقيل: مالك يا رسول الله صلى الله عليه وآله تبسّمت؟ فقال: «**عجبت من المؤمن وجزعه من السّقم، ولو يعلم ما له في السّقم من الثّواب لأحبّ أن لا يزال سقيماً حتّى يلقى الله ربّه عزّ وجلّ**»، بل ورد أيضاً أنّ أنينه تسبيح، وصياحه تهليل، ونومه على الفراش عبادة، وتقلُّبه جهاد في سبيل الله عزّ وجلّ، وانّه تتناثر منه الذّنوب كما يتناثر الورق من الشّجر وانّه يوحى إلى ملك الشّمال ان لا يكتب عليه كما انّه يوحى إلى ملك اليمين ان يكتب له كلّ ما كان يعمل من الخير في زمان صحّته إذ هو في حبس الله، وأنّ حمّى ليلة أفضل من عبادة سنة، وحمى ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحمّى ثلاث ليال تعدل عبادة سبعين سنة، وأنّه إذا أحبّ الله عبداً نظر إليه فإذا نظر إليه أتحفه بواحدة من ثلاث صداع أو حمّى أو رمد. وايّما رجل اشتكى فصبر واحتسب كتب الله له من الأجر أجر ألف شهيد، ومن اشتكى ليلة فقبلها بقبولها، وأدّى إلى الله شكرها كانت كعبادة ستّين سنة، قيل له: ما قبولها؟ قال: يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها، فإذا أصبح حمد الله على ما كان، وأنّ الله عزّ وجلّ قال: أيّما عبد ابتليته ببليّة فكتم ذلك عوّاده ثلاثاً أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وبشراً خيراً من بشر، فإن أبقيته أبقيته ولا ذنب له، وإن مات مات إلى رحمتي، وإن من مرض يوماً وليلة ولم يشتك إلى عوّاده بعثه الله يوم القيامة مع خليله إبراهيم خليل الرحمن حتّى يجوز الصّراط كالبرق اللّامع.

سئل الصّادق عليه السلام: عن حدّ الشّكاة للمريض؟ فقال: إنّ الرّجل يقول: حممت اليوم، وسهرت البارحة، وقد صدق، وليس هذه شكاة، بل هي أن يقول: لقد ابتليت بما لم يبتل به أحد، ولقد أصابني ما لم يصب أحداً، وليس الشّكوى أن يقول سهرت البارحة، وحممت.. ونحو هذا، فلا ينافي حينئذٍ استحباب إعلام الأخوان بالمرض، قال الصّادق عليه السلام: ينبغي للمريض منكم أن يؤذن إخوانه بمرضه، فيعودونه فيؤجر فيهم، ويؤجرون فيه، قال: فقيل له: نعم وهم يؤجرون فيه بممشاهم إليه فكيف يؤجر فيهم؟! قال: فقال باكتسابه لهم الحسنات يؤجر فيهم، فيكتب له بذلك عشر حسنات، ويرفع له عشر درجات، ويمحى بها عنه عشر سيّئات، بل يستحبّ له الأذن في الدّخول عليه قال أبو الحسن عليه السلام: «**إذا مرض أحدكم فليأذن للنّاس يدخلون عليه، فإنّه ليس من أحد إلّا وله دعوة مستجابة**» كما أنّه يستحبّ لهم مؤكّداً العيادة حتّى ورد أنّ له بكلّ خطوة

خطاها حتّى يرجع إلى منزله سبعين ألف ألف حسنة، وتمحى عنه سبعون ألف ألف سيّئة، ويرفع سبعين ألف ألف درجة، ووكِّل به سبعون ألف ألف ملك يعودونه في قبره، ويستغفرون له إلى يوم القيامة، بل ورد أنّ الله يعيّر عبداً من عباده فيقول له: ما منعك إذا مرضت أن تعود بي فيقول: سبحانك سبحانك أنت ربّ العباد، لا تألم ولا تمرض، فيقول من أخوك المؤمن فلم تعده، وعزّتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده، ثمّ لتكفّلت بحوائجك فقضيتها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرّحمن الرّحيم.

بل تتأكَّد في الصبح والمساء، فإنّه أيّما مؤمن عاد مؤمناً حين يصبح شيّعه سبعون ألف ملك، فإذا قعد غمرته الرّحمة، واستغفروا له حتّى يمسي، وإن عاده مساءً كان له مثل ذلك حتّى يصبح.

بل ما من رجل يعود مريضاً ممسياً إلَّا خرج معه سبعون ألف ألف ملك يستغفرون له حتّى يُصبح، وكان له خرّيف في الجنّة، أي زاوية يسير الكواكب فيها أربعين عاماً، نعم لا تتأكَّد العبادة في مرض العين، بل ورد أنّه لا يُعاد الأرمد، وصاحب القروح، ووجع الضّرس، كما أنّه لا تتأكَّد إذا غلب عليه المرض أو طالت به العلَّة، وعلى كلّ حال فينبغي للعائد التماس الدعاء من المريض، فإنّه أحد الثلاثة الذين يُستجاب دعاؤهم، بل دعاؤه مثل دعاء الملك، ووضع يده على ذراع المريض، واستصحاب هدية له من فاكهة أو طيب أو بخور أو نحو ذلك. وتخفيف الجلوس عنده إلّا إذا أحبّ ذلك، فإنّ عيادة التّوكى أشدّ على المريض من وجعه.. إلى غير ذلك من الآداب الكثيرة.

[نجاة العباد للجواهريّ: ص٢]

# التعقّل والإحساس

السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ

أمّا منطق الاحساس، فهو يدعو إلى النفع الدنيوي، ويبعث إليه فإذا قارن الفعل نفع وأحسن به الانسان، فالإحساس متوقّد شديد التوقان في بعثه وتحريكه، وإذا لم يحس الإنسان بالنفع فهو خامد هامد، وأمّا منطق التعقّل فإنما يبعث إلى اتباع الحق، ويرى أنه أحسن ما ينتفع به الإنسان أحس مع الفعل بنفع مادي أو لم يحس، فإنّ ما عند الله خير وأبقى، وقس في ذلك بين قول عنترة، وهو على منطق الاحساس:

وقولي كلّما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

يريد أني استثبت نفسي كلّما تزلزلت في الهزاهز والمواقف المهولة من القتال بقولي لها: اثبتي فإن قتلت يحمدك الناس على الثبات وعدم الانهزام، وإن قتلت العدو استرحت ونلت بغيتك،

فالثبات خير على أي حال، وبين قوله تعالى... وهو على منطق التعقّل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[1].

يريد أن أمر ولايتنا وأنصارنا إلى الله سبحانه لا نريد في شيء مما يصيبنا من ضر أو شر إلّا ما وعدنا من الثواب على الإسلام له والالتزام لدينه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وإذا كان كذلك فإن قتلتمونا أو أصابنا منكم شيء كان لنا عظيم الأجر والعاقبة الحسنى عند ربنا، وان قتلناكم أو أصبنا منكم شيئاً كان لنا عظيم الثواب والعاقبة الحسنى، والتمكّن في الدنيا من عدونا، فنحن على أي حال سعداء مغبوطون ولا تتحفون لنا في قتالنا ولا تتربصون بنا في أمرنا إلّا إحدى الحسنيين، فنحن على الحسنى والسعادة على أي حال، وأنت على السعادة ونيل البغية بعقيدتكم على أحد التقديرين، وفي إحدى الحالين وهو كون الدائرة لكم علينا فنحن نتربّص بكم ما يسوؤكم وأنتم لا تتربصون بنا إلّا ما يسرّنا ويسعدنا.

(١) التوبة: ٥١، ٥٢.

(٢) التوبة: ١٢٠، ١٢١.

فهذان منطقان أحدهما يعني الثبات وعدم الزوال على مبنى احساسي وهو أنّ الثابت أحد نفعين، إمّا حمد الناس، وإمّا الراحة من العدو، هذا إذا كان هناك نفع عائد إلى الإنسان المقاتل الذي يلقي بنفسه إلى التهلكة، أمّا إذا لم يكن هناك نفع عائد كما لو لم يحمده الناس لعدم تقديرهم قدر الجهاد وتساوى عندهم الخدمة والخيانة، أو كانت الخدمة مما ليس من شأنه أن يظهر لهم البتة أو لا هي ولا الخيانة، أو لم يسترح الاحساس بفناء العدو، بل إنما يستريح به الحق، فليس لهذا المنطق إلّا العي واللكنة.

وهذه الموارد المعدودة هي الأسباب العامة في كل بغي وخيانة وجناية يقول الخائن المتساهل في أمر القانون: إن خدمته لا تقدّر عند الناس بما يعد لها وإنّ الخادم والخائن عندهم سواء، بل الخائن أحسن حالاً وأنعم عيشاً، ويرى كلّ باغ وجان أنه سيتخلّص من قهر القانون، وأنّ القوى المراقبة لا يقدرون على الحصول عليه فيخفى أمره ويلتبس على الناس شخصه، ويعتذر كلّ من يتثبط ويتثاقل في إقامة الحق والثورة على أعدائه.. ويضحك منه الدنيا الحاضرة، ويعدونه من بقايا القرون الوسطى أو أعصار الأساطير، فإن ذكرته بشرافة النفس وطهارة الباطن رد عليك قائلاً: ما أصنع بشرافة النفس إذا جرت إلى نكد العيش وذلة الحياة.

وأمّا المنطق الآخر، وهو منطق الإسلام فهو يبني أساسه على اتباع الحق وابتغاء الأجر والجزاء من الله سبحانه، وإنما يتعلّق الغرض بالغايات

والمقاصد الدنيوية في المرتبة التالية وبالقصد الثاني، ومن المعلوم أنه لا يشذ عن شموله مورد من الموارد، ولا يسقط كليته من العموم والاطـراد، فالعمل - أعم من الفعل والترك - إنما يقع لوجهه تعالى، وإسلاماً له واتباعاً للحق الذي أراده وهو الحفيظ العليم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا عاصم منه ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والله بما تعملون خبير.

فعلى كـلّ نفس فيما وردت مـورد عمل أو صدرت، رقيب شهيد قائم بما كسبت، سواء شهده الناس أم لا، حمدوه أم لا، قدروا فيه على شيء أم لا.

وقد بلغ من حسن تأثير التربية الإسلامية أنّ الناس كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيعترفون عنده بجرائمهم وجناياتهم بالتوبة، ويذوقون مرّ الحدود التي تقام عليهم (القتل فما دونه) ابتغاء رضوان الله، وتطهيراً لأنفسهم من قذارة الذنوب ودرن السيئات.

وبالتأمّل في هذه النوادر الواقعة يمكن للباحث أن ينتقل إلى عجيب تأثير البيان الديني في نفوس الناس وتعويده لهم السماحة في ألذ الأشياء وأعزّها عندهم، وهي الحياة وما في تلوها.

**الأجر الأخروي: غاية المجتمع**

ربما يتوهم المتوهم أن جعل الأجر الأخروي وهو الغرض العام في حياة الانسان الاجتماعية يوجب سقوط الاغراض الحيوية التي تدعو إليه البنية الطبيعية الانسانية وفيه فساد نظام الاجتماع، والانحطاط إلى منحط الرهبانية، وكيف يمكن الانقطاع إلى مقصد من المقاصد مع التحفظ على المقاصد المهمة الأخرى؟ وهل هذا إلّا تناقض؟

لكنّه توهّم ساذج في الجهل بالحكمة الإلهية والأسرار التي تكشفت عنها المعارف القرآنية فإنّ الإسلام يبني تشريعه على أصل التكوين كما مرّ ذكره مراراً في المباحث السابقة من هذا الكتاب، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(الروم: ٣٠). وحاصله: أن سلسلة الأسباب الواقعية التكوينية تعاضدت على إيجاد النوع الانساني في ذيلها وتوفرت على سوقه نحو الغاية الحيوية التي هيئت له فيجب له أن يبني حياته في ظرف الكدح والاختيار على موافقة الأسباب فيما تريد منه وتسوقه إليه حتّى لا تناقضها حياته فيؤديه ذلك إلى الهلاك والشقاء، وهذا (لو تفهمه المتوهم) هو الدين الاسلامي بعينه، ولما كان هناك فوق الأسباب سبب وحيد هو الموجه لها المدبر لأمرها فيما دق وجل وهو الله سبحانه الذي هو السبب التام فوق كل سبب بتمام معنى الكلمة كان الواجب على الانسان الاسلام له والخضوع لأمره، وهـذا معنى كون التوحيد هو الأسـاس الوحيد للدين الإسلامي.

[قضايا المجتمع والأسرة]

# ما هي الوسائل الكفيلة لبلوغ الهدف؟

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

كلّ فرد أو مجموعة مضطرون- من أجل الوصول إلى أهدافهم- إلى الاستفادة من وسائل معينة. واختبار هذه الوسائل يمكنه من أن يساعد إلى حدّ بعيد في التعرّف على أصالة وأحقيّة تلك المدرسة أو على تزويرها وخداعها.

وبديهي أنّ أولئك الذين يعتبرون الاستفادة من كلّ وسيلة- للوصول إلى أهدافهم- جائزة، ويجعلون أصل (الغاية تبرر الوسيلة)، أو (الغايات تبرر الوسائط) برنامجهم الأصلي هم بعيدون عن الأصالة.

أمّا أولئك الذين يستخدمون الوسائل المقدّسة لنيل أهدافهم المقدّسة فهم يعطون الدليل على أحقّيّتهم، ويمكن تمييز مُدّعي النبوّة الصادقين من الكاذبين عن هذا الطريق.

الأشخاص الذين لا يعترفون بأي قيد أو شرط للوصول إلى أهدافهم ويعتبرون كلّ وسيلة مشروعة أو غير مشروعة مباحة والذين يعتبرون مفاهيم من قبيل العدالة والأمانة والصدق والاحترام للقيم الإنسانية محترمة طالما أنّها تعينهم للوصول إلى أهدافهم وإلّا تركوها ونبذوها فمسلّماً أنّهم في مُدّعي النبوّة الكاذبين.

إنَّ الأنبياء الإلهيين هم أولئك الذين يحترمون الأصول الإنسانية حتّى في حروبهم، ولا يعدلون عنها في الشدائد والمحن مطلقاً، وعند انتصارهم لا يتجاوزون أصول العدالة، والعفو، والتسامح مع أعدائهم، وفي أوقات الخطر واحتمال عدم تحقيق النصر لا يلتجئون إلى الوسائل غير الإنسانية.

وإذا قسنا هذا الأصل الكلي مع حياة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله والتفتنا إلى سلوكه مع الأعداء والأصدقاء، في أوقات تحقيق النصر أو عدم تحقيقه، في الشدّة والرخاء، فسوف ندرك جيداً أنّه كان متّبعاً لقيم خاصّة في اختيار وسائل الوصول إلى الهدف.

لم يلجأ النبيُّ صلى الله عليه وآله مطلقاً في لحظات الخطر إلى استخدام أساليب غير إنسانية، بل وراعى المسائل الأخلاقية الدقيقة حتّى في ساحة القتال.

فعند انتصاره في (فتح مكة) أصدر (العفو العام) عن أخطر أعدائه، وصفح حتّى عن القتلة ومجرمي الحرب.

ولما سمع أحد قادة الجيش يعلن شعاراً ثأرياً ويقول:

(اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً) أمر فوراً بعزله وقال:

ليقولوا بدل هذا الشعار (القبيح وغير اللائق): «اليوم يومُ المرحمة، اليوم أعزّ الله قريشاً»[1].

وحتى حين وقف كبراء مكة صفاً ليروا حكم الرسول صلى الله عليه وآله بشأنهم (وكان الكثير من الناس يتوقعون أن يشدد الرسول ويقسو على هؤلاء الأعداء الحاقدين) التفت إليهم صلى الله عليه وآله وقال: «**ما تظنون أنّي فاعلٌ بكم؟**» قالوا: لا نظنُّ إلّا خيراً. فقال صلى الله عليه وآله: «**أقول لكم ما قال يوسف لأخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**

(١) نقلت هذه القضية بعبارات مختلفة في بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٥ و ١٣٠؛ وفي حبيب السير: ج ١، ص ٢٨٨؛ وتفسير جامع البيان في ج ٢، ص ٣٣٤؛ وكامل ابن الأثير ج ٢، ص ٢٤٦.

يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وَهُوَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. (يوسف/ ٩٢) اذْهَبُوا فأنتم الطلقاء».

وعندما قتل (خالد بن الوليد) أسرى بني خزيمة بدون سبب ووصل الخبر إلى نبي الإسلام صلى الله عليه وآله. تألم بشدّة وقال مرّتين أو ثلاثاً: «اللّهم إنّي أبرأُ إليك ممّا صنع خالد»، ثمّ أمر علياً عليه السلام أن يذهب مع مبلغ من المال إلى تلك القبيلة فيعطيهم دِيَة قتلاهم ويعوض ممتلكاتهم التي تضررت بالمال وأن يسعى في جلب رضاهم[1].

إنَّ هذه الامور لا يمكن مشاهدتها في حروب عالم اليوم، وحتى في مهد الحضارة الصناعية، فقد شهد العالم افضع مآسي الانتقام في نهاية الحرب العالمية الاولى والثانية، والجرائم التي لا تُعدّ للجيوش المنتصرة.

والآن كيف اتصف النبي صلى الله عليه وآله بكل هذا العفو والرحمة بين قوم نصف متوحشين؟ هذا السؤال يجب أن يجيب عليه العقلاء والحكماء.

كان ورعه واجتنابه الأساليب اللاإنسانية إلى درجة أنّه صلى الله عليه وآله يرفضها حتى ولو تهيأت مقدماتها وأسبابها بصورة طبيعية، ومهما بدت في الظاهر أنّها مؤيدة له، ففي حادثة وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله قيلَ: إنّ الشمس كسفت تزامنا مع هذه الواقعة، وقال بعض الناس: إنّها كرامة ومعجزة من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وإنّ الشمس كسفت لوفاة إبراهيم.

لكن النبي صلى الله عليه وآله صعد المنبر وقال: «أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فاذا انكسفا أو أحدهما صلوا»، ثم نزل من المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف، فلما سلَّم قال: «يا علي قم فجهز ابني»[2].

تشير هذه القصة إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله سارع إلى هذا العمل حتى قبل اجراء مراسيم دفن ابنه إبراهيم كي يقضي على هذه الفكرة الخاطئة قبل شيوعها وإن كانت لصالحه ظاهراً... إنّه لا يريد أن ينتفع من أساليب مغلوطة وغير مشروعة في التقدم لنيل أهدافه ومقاصده.

وعلى الرغم من أنّ الحديث قد طال حول هذا الموضوع، ولكن لابدّ في الختام من ذكر هذه النقطة وهي: إنّ دقائق الامور التي جاءت في آداب الحرب في الإسلام وأكد عليها النبي صلى الله عليه وآله وأثبت

(١) حبيب السير، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٥٥، ح ١٣ (باب عدد أولاد النبي).

عملياً التزامه بها هي شاهد آخر على الادّعاء الآنف الذكر.

فحينما كان الجيش الإسلامي يستعد للتحرك إلى أحد ميادين الجهاد، كان النبيﷺ يبين لهم واجباتهم الحساسة بهذه العبارات: «**سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلو، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليه**».

وفي حديث آخر: «... **ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لأنّكم لا تدرون لعلّكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم يؤكل لحمه إلّا ما لابدّ لكم من أكله**»[1].

وكان النبيﷺ ملتزماً بكل المبادئ الأخلاقية السامية إلى تلك الدرجة التي جعلته في معركة خيبر يرفض اقتراح من أشار عليه بقطع الماء عن اليهود المحاصرين لمدّة طويلة في داخل قلاع خيبر القوية، وأجابهﷺ قائلًا: «**إنني لا أقطع عنهم الماء أبداً**».

وعندما قال له راعٍ لمواشي اليهود: إنني حاضر لأنّ أعطيك هذه المواشي كلها، رفض النبيﷺ ذلك ونهاه عن أن يخونَ الأمانة التي أودعوها عنده[2].

[نفحات القرآن]

---

(١) جاء هذا الحديث في مصادر متعددة وبعبارات مختلفة، من جملتها كتاب الوسائل، ج ١١، ص ٤٣ باب آداب امراء السرايا وأصحابهم، ح ٢ و ٣.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٣٤٤.

# مجتمعنا
## والمجتمع الرشيد

السيّد منير الخبّاز

الرشد الذي وصف به القرآن إبراهيم الخليل، ونفاه عن فرعون عندما قال: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، الرشد له معنيان ومفهومان: الرشد الفقهي، والرشد الاجتماعي. الرشد الفقهي يقابل السفه، فالرشيد بحسب مصطلح الفقهاء من يضع المال في موضعه، فإذا استلم الثروة ووضعها في مواضعها واستثمرها دون إسراف أو تبذير كان رشيدًا، وأما السفيه فهو الذي يضيّع المال، لذلك قال عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

المعنى الثاني للرشد هو الرشد الاجتماعي، والرشد الاجتماعي يقابله اللغو الاجتماعي. الإنسان الذي يمتلك رشدًا اجتماعيًا هو الذي يمتلك حسنًا في إدارة المجتمع، وفي توجيه طاقاتِ المجتمع إلى ما هو صلاحٌ لها، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، ليس المقصود بالرشد هنا الرشد المالي الفقهي، بمعنى أن إبراهيم يضع المال في موضعه، هذا موجود عند الكثيرين من الناس، وليس صفةً خاصةً بإبراهيم كي يُمْدَح عليها، ويثنى عليه من قبل القرآن الكريم، إنما الرشد الذي يتمتع به إبراهيم هو الرشد الاجتماعي، بمعنى أن إبراهيم يمثّل قدوةً للقادة، يمثّل قدوةً للمصلحين الاجتماعيين، يمثّل مثالًا رائعًا لكل قائد اجتماعي، لكل مصلح اجتماعي، إن الرشد هو أن تقود المجتمع نحو نهضته، ونحو رفعته، وأن تستثمر طاقات هذا المجتمع فيما يخدم مسيرته وحضارته. إبراهيم كان يمثّل القيادة الرشيدة، القيادة الحكيمة التي تعنى بهموم المجتمع، وتهتم بقضاياه، وتهتم بأوجاعه وآلامه، وتضعها في الموضع المناسب المنسجم.

لذلك، الرشد كما يتصف به الفرد، يتصف به المجتمع، عندنا فرد سفيه، وفرد رشيد، عندنا إنسان رشيد وإنسان لغو، كذلك المجتمع نفسه، بعض المجتمعات نقول عنه مجتمع رشيد، وبعض المجتمعات نقول عنه مجتمع ضائع، مجتمع لغو، كما أن الإنسان نفسه يتصف بالرشد واللغو، المجتمع أيضًا قد يتصف بالرشد واللغو. هناك مجتمعات ضائعة تائهة، وهناك مجتمعات رشيدة، تمتلك وعيًا، تمتلك سعةً في الأفق، تمتلك خبرةً، تستطيع أن تضع أقدامها في مواضعها المناسبة، ما هو المجتمع الرشيد؟ حتى نعرف هل هذا المجتمع الرشيد ينطبق على مجتمعاتنا أو لا، ما هو عنوان المجتمع الرشيد؟ وما هي معالم المجتمع الرشيد؟

القرآن الكريم نفسه يشرح لنا ما هو المجتمع الرشيد: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، المجتمع الرشيد هو المجتمع الذي يتبنى الدعوة إلى الخير، المجتمع الرشيد هو المجتمع الذي يتبنى الإصلاح، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبارةٌ أخرى عن الإصلاح، إصلاح الأوضاع الفاسدة، المجتمع الذي يعيش وعيًا يحاول من خلال وعيه أن يبعث الخير، وأن يقود نفسه نحو الخير، مجتمع رشيد. المجتمع الذي يقرأ تجربته، يقرأ أوضاعه، يقرأ نقاط الفساد والتدهور والتخلف، ويحاول أن يسد الثغرات، ويحاول أن يقتلع جذور الفساد، هذا مجتمع رشيد. إذن، المجتمع الرشيد هو المجتمع الذي يتبنى الدعوة إلى الخير، والدعوة إلى الخير

لها معالم، ولها ملامح، فما هي ملامح الدعوة إلى الخير؟

**المعلم الأول: استثمار الطاقات.**

كل مجتمع فيه طاقات، فيه طاقات طبية، فيه طاقات هندسية، فيه طاقات فنية، فيه طاقات خطابية، فيه طاقات أدبية، هل المجتمع يلتفت إلى طاقاته، ويحاول أن يستثمرها، ويحاول أن ينميها، ويحاول أن ينهض بها لتنهض به، أو لا؟ إذا كان المجتمع غير ملتفت إلى طاقاته، مشغولاً بلقمة العيش، مشغولاً بالركض وراء تنمية الثروة، دون أن يلتفت إلى طاقاته، من الطبيعي أن هذا المجتمع ضائع، وسيبقى ضائعًا.

بينما المجتمع الذي يمتلك مراكز، مراكز ثقافية خيرية، سواء انطلقت هذه المراكز من المسجد، أم الحسينية، أم اللجان الأهلية، هذه المراكز تعنى بالطاقات، كم عندنا طاقة طبية؟ كم عندنا طاقة هندسية؟ كم عندنا طاقة خطابية؟ كم عندنا طاقة أدبية؟ كم عندنا طاقة فنية؟ هذه الطاقات كيف نستثمرها؟ كيف نوحّد بينها؟ كيف نجمع بين مشاريعها؟ كيف نصل بهذه الطاقات إلى أن نكون في أوائل المجتمعات الذين يفخرون بطاقاتهم، ويعتزون بكفاءات أبنائهم، ويعتزون بما وصلوا إليه من مستويات عالية وراقية، في مختلف الفنون والحقول؟ عندما يلتفت المجتمع لطاقاته، من خلال مراكز تأهيلية ثقافية، حينئذ يتصف المجتمع بكونه مجتمعًا رشيدًا.

**المعلم الثاني: التركيز على الأولويات.**

المعلم الثاني من معالم الدعوة إلى الخير واتصاف المجتمع بكونه مجتمعًا رشيدًا: التركيز على الأولويات، لا يركّز على الأشياء الصغيرة والهامشية، هناك مجتمعات تركّز على القضايا الصغيرة، على الاختلافات في بعض القضايا الدينية، تركّز على الاختلافات في قضايا جزئية، تركّز على بعض الكلمات، بعض الحروف، بعض الوقفات، بعض النظرات، المجتمع الذي يشغل نفسه بالقضايا الصغيرة، كأنه لا هم له إلا هذه القضايا الصغيرة، يثيرها، يعظّمها، يهوّلها، تضيع الأوقات، تضيع القدرات، تضيع الطاقات، تضيع المواقف، تضيع الرجال، تضيع الكفاءات؛ لأنها تشغل وقتًا وجهدًا وطاقةً بالقضايا الصغيرة، التي يختلف الناس في تشخيصها، يختلف الناس في تحديدها، يختلف الناس في مقدارها.

هذا المجتمع مجتمع تائه ضائع، ويبقى ضائعًا، ويبقى تائهًا؛ لأنه يعيش في أفق صغير متقوقع في زوايا ضيقة، متقوقع على قضايا جزئية، يختلف في تشخيصها، يختلف في تحديدها. المجتمع الرشيد هو المجتمع الذي يعنى بالقضايا الكبرى، بالقضايا المصيرية،

بالقضايا الخطيرة، المجتمع الـذي يركّز على القضايا الأولى في العقيدة، القضايا الأولى في الرقي الاجتماعي، القضايا الأولى في الإصلاح الاجتماعي، المجتمع الـذي يركّز: كيف نبني لأنفسنا وحدة في الكلمة؟ كيف نبني لأنفسنا وحدة في الموقف؟ كيف تكون لنا رؤية سياسية واجتماعية ثاقبة؟ كيف يكون لنا وعي وقراءة لمستقبلنا ومستقبل أوضاعنا؟ كيف تكون لنا رؤية نحو أجيالنا وأجيال أجيالنا؟ ماذا أعددنا لهم؟ ماذا قدّمنا لهم؟ بأي أرض هيّأنا لهم؟ إذن، هذا المجتمع هو الذي يمتلك سعةً في الأفق، هو الذي يمتلك بعدًا في النظر، هو الذي يمتلك انفتاحًا على مستقبله، بعد الانفتاح على واقعه، وبعد قراءة ماضيه.

إذن، المجتمع الذي يعنى بالأولويات، ما هي أولوياتنا؟ فنتحاور نحن أبناء المجتمع، نحن أبناء المجتمع من رجال دين، من مثقفين، من خطباء، من أدبـاء، من طاقات أخـرى، فنجتمع، ما هي أولوياتنا؟ ما هي القضايا الأهم في مجتمعنا؟ كيف ننهض بهذا المجتمع ليكون له موقف واحد ورؤية موحدة؟ كيف نفهم مستقبلنا؟ كيف ننقد ماضينا؟ كيف نستفيد من التجارب الماضية؟ كيف نحصي سلبياتها وإيجابياتها؟ عندما تكون هذه اللغة هي لغة المجتمع، عندما تكون هذه الثقافة هي ثقافة المجتمع، حينئذ يكون هذا المجتمع مجتمعًا رشيدًا، مجتمعًا مفكرًا، مجتمعًا يتحاور، مجتمعًا يتبادل وجهات النظر، مجتمعًا يدرس أوضاعه الماضية والفعلية والمستقبلية. هذا المجتمع هو الذي نسمّيه مجتمعًا رشيدًا؛ لأنه يمتلك الدعوة إلى الخير.

**المعلم الثالث: أدب النقد.**

من معالم المجتمع الرشيد: المجتمع الذي ينقد ولكن ضمن الأدب، أدب النقد. لا يمكن لمجتمع أن يبقى بدون نقد، كيف يرقى المجتمع ما لم يكن هناك نقد؟ المجتمع الـذي لا يقرأ تجربته، عاش هذا المجتمع تجارب، تجارب في مجال الإدارة، تجارب في مجال الثقافة الخيرية، تجـارب في مجـال الثقافة الاجتماعية، تجارب في مجـال العمل الديني، والعمل الـدعـوي، والعمل التبليغي، هل قرأنا هذه التجارب؟ هل حاسبناها؟ هل أفرزنا سلبياتها وإيجابياتها؟ إذا وقف المجتمع وقرأ تجربته ونقدها، سجّل نقاط الضعف فيها، سجّل الثغرات فيها كي يصلحها ويتلافاها، إذا كان مجتمعًا يمتلك روح النقد، ينقد تجاربه الماضية، كما ورد عن النبي: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**».

كثير منا يفهم أن المحاسبة على الذنوب الفردية، أنا ماذا أذنبت في هذا اليوم، في هذه الساعة؟ أنـا هـل أذنبـت في حق ربي أو لا؟ المحاسبة كما هي على الذنوب الفردية كذلك هي

على الذنوب الاجتماعية أيضًا، كما أنا مسؤول عن شخصيتي الفردية، أنا مسؤول عن مجتمعي أيضًا، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، كما أنني سأحاسب على أعمالي، سأحاسب: ما هو موقفي في هذا المجتمع؟ هل قدمت لمجتمعي خيرًا؟ هل قدمت لمجتمعي صلاحًا؟ هل ساهمت في نهضة المجتمع وفي إصلاحه، أو لا؟ كما أحاسب على هذا، فسوف أحاسب على هذا.

القرآن الكريم يذكر من صفات الصالحين: ﴿وَالعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، عندهم دور اجتماعي لا مجرد دور فردي فقط، المؤمن الصالح من له دور اجتماعي، المؤمن الصالح من يقوم بمسؤولية اجتماعية، ما هو موقفي؟ ما هو دوري؟ ماذا قدمت لمجتمعي؟ التواصي مسؤولية اجتماعية، لا تسقط عن أي فرد.

إذن، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، سأحاسب: هل قمت بالمسؤولية الاجتماعية؟ مسؤولية التواصي هي أن أكون منطلقًا للثقافة، للدعوة إلى الخير، للدعوة إلى تحفيز هذا المجتمع نحو الرفعة والنهوض، وليكن نقدنا لبعضنا البعض، لمشاريعنا، لتجاربنا الماضية، نقدًا محفوفًا بالأدب، مشفوعًا باللغة المهذبة، مشفوعًا بلغة أهل البيت، اللغة المملوءة بحسن الظن، المملوءة بالأدب الرفيع، المملوءة بالتواضع، المملوءة بالتشجيع والتحفيز على تجاوز الماضي إلى المستقبل الزاهر، أدب النقد، وأدب الاختلاف، هو معلمٌ من معالم المجتمع الرشيد.

ننقد مشاريعنا، لم لا؟! ننقد تجاربنا الماضية، لم لا؟! رجل الدين ينقد تجربته، لم لا؟! خطيب المنبر ينقد تجربته، لم لا؟! لكن النقد كله في إطار التحفيز والتشجيع والمباركة والانطلاق إلى مستقبل أزهر، لا إلى لغة التشاؤم، لا إلى لغة الاستفزاز، لا إلى لغة التسقيط والتحطيم، لا إلى لغة كأننا انتهينا ولن يكون لنا أمل أو بريق نهوض أو رقي، بل لغة التحفيز والتشجيع، ولغة الأخوة، ولغة الأدب المشترك المتبادل، لغة أهل البيت عليهم السلام: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

حينئذ، إذا اجتمعت هذه الصفات في المجتمع كان مجتمعًا رشيدًا؛ لأنه مصداقٌ للمجتمع الداعي إلى الخير، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر. نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يرشد، وممن يقود المجتمع إلى الرشد، وممن يساهم في بناء المجتمع الرشيد.

أوراق ثقافية

# أصل وزن الشعر

جرجي زيدان

الغالب في اعتقادنا أن الوزن مأخوذ في الأصل من توقيع سيرا الجمال في الصحراء، وتقطيعه يوافق وقع خطاها. ويؤيد ذلك أن الرجزأول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهوالحداء في اصطلاحهم، وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربي يقضي أكثر اوقاته في معاشرة جمله أوناقته.. وعندهم ضربان من الرجز: المشطور، والمنهوك.

والمشطور هذا وزنه:

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد ان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا سُرُّ مما أعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا إذاً لآثرنا بهن النيبا[1]

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعة مشي الجمال الهوينا. ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا، لرأيت مشيا يشبه وزن هذا الشعر تماماً.

فكان العرب يحدونها به إذا ارادوا سيرها وئيداً، وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز.. كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان بن الحكم.. فطلب إليه مروان ان يسوق الجمال أي يحدوها فقال:

يا بثن حي او عديني او صلي وهوني الأمر فزوري واعجلي
بثين أياً ما اردت فافعلي إني لآتٍ ما أشأتِ مُعتَلي[2]

فلم يقبل مروان ان يتغزّل بالحدو وانما يطلب الخلفاء والامراء إذا ركبوا الإبل أن يحدوها الحادي يرجز في مدحهم. خرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله:

يا أيها البكر[3] الذي اراكا عليك سهل الارض في ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا ان ابن مروان علا ذراكا
خليفة الله الذي امتطاكا لم يعل بكرا مثل ما علاكا

أمّا إذا أراد الحادي أن تسرع الجمال في السير، حداها بالرجز المنهوك وهذا وزنه:

اعطيته ماسألا حكمته لو عدلا
قلبي به في شغل لا مل ذاك الشغلا

(١) النيب: النوق.
(٢) أبات: استحل.
(٣) البكر: الفتى من الإبل.

قــــيـــــده الحــــــــب كـــما　　　　قــــيـــد　راعٍ　جمـــــــلا[1]

واعتبر ذلك في مجرى الخبب من الشعر، فانه يوافق في توقيعه خبب الفرس أي ركضه وهذا وزنه:

أبـــكـــيــت عـــلى طـــلـــل طـــربـــا　　　　فـــشـــجـــاك واحـــزنـــك الـــطـــلـــل

**- أوزان الشعر**

وضع العرب الأوزان والبحور حسب الاقتضاء كلّ منها لحال من الأحوال.. بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الرثاء أو الغزل.. فالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر، والرمل الحزن والفرح، ويلائم السريع العواطف، وقس على ذلك[2].

فالرجز أقدم أبحر الشعر، وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو فاخر، ثمّ صاروا يطيلون النظم فيه. ويقال: إن أوّل من أطاله الأغلب العجلي على عهد النبي ثمّ رؤبة بن العجاج، وتفننوا في بحر الرجز فتعددت أوزانه، واخترعوا أبحرا غيرها وصاروا ينظمون الأراجيز الطوال ويريدون بها ما زادت أبياتها على عشرة.

أمّا غير الرجز من أبحر الشعر، فكانوا أولاً ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة.. حتّى إذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن، وظهر فيها الأبطال والفرسان، احتاجوا إلى الشعر فأطالوا فيه، فظهرت القصائد.

وأوّل من أطالها المهلهل أخو كليب وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور.. فهو لم يفعل ذلك إلّا بعد أن حركه طلب الثأر. وهو أوّل شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتاً من الشعر واقتدى به سواه، ثمّ كان للنظم تاريخ بعد الإسلام.

[تاريخ آداب اللغة العربية]

(١) العقد الفريد: ج٣.

(٢) الإلياذة العربية.

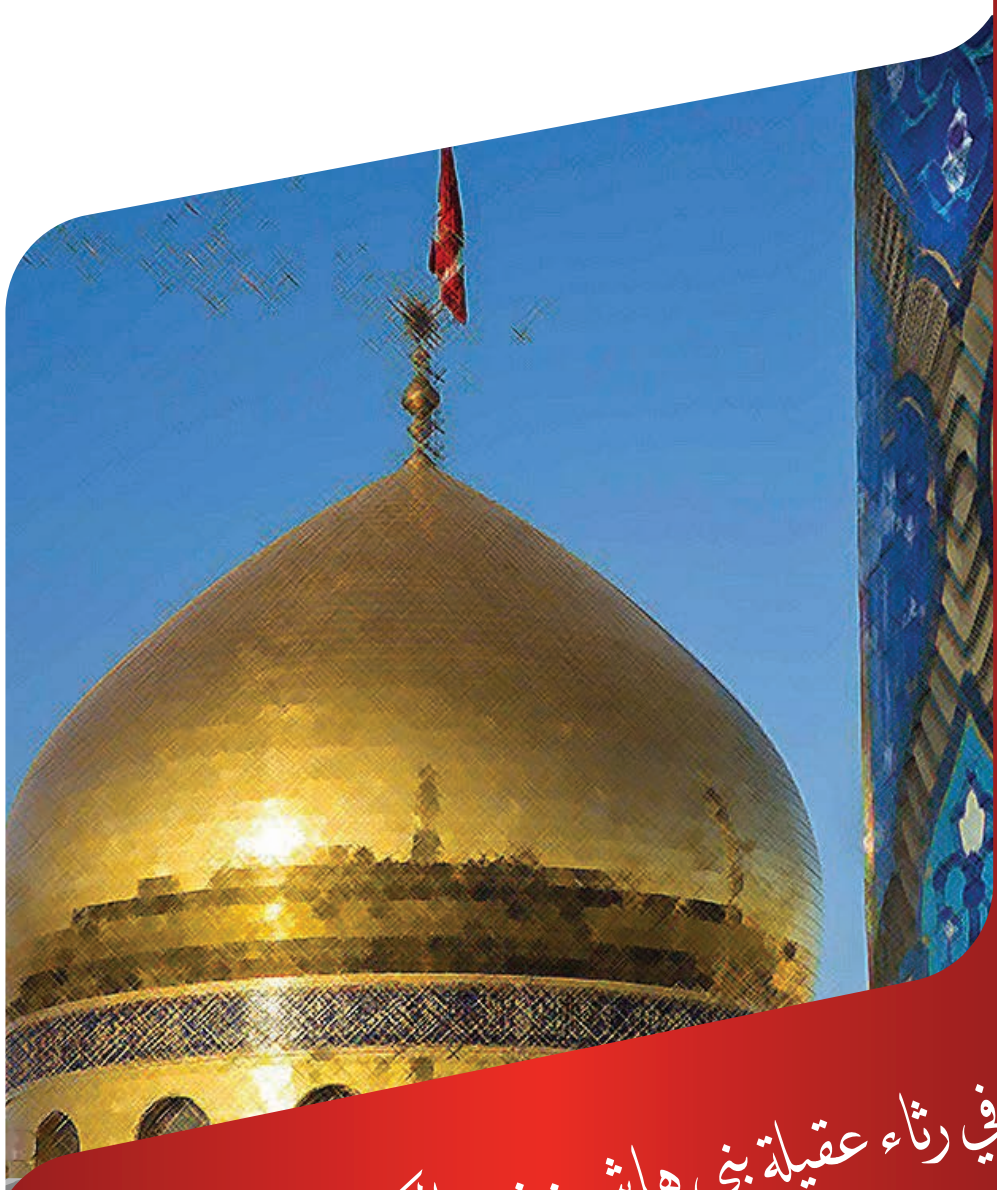

# في رثاء عقيلة بني هاشم زينب الكبرى (عليها السلام)

الشاعر: السيّد محمّد رضا الهنديّ

سـلامٌ عـلى الحـوراء ما بقي الدهر    وما سطعت شمسٌ وما بزغ البدرُ
سـلام عـلى القـلب الكبير وصبره    بيومٍ جرت حزناً له الأدمعُ الحُمرُ
جحافل جـاءت كربلاء بأثرها    جحافل لا يقوى على عدها حصرُ
جرى ما جرى في كربلاء وعينها    ترى ما جرى ممّا يذوب له الصخرُ
لقد أبصرت جسم الحسين مبضّعاً    فجاءت بصبرٍ دون مفهومه الصبرُ
رأتـه ونـادت يابن أمي ووالـدي    لك القتل مكتوبٌ ولي كتب الأسرُ

أخـي إنّ في قـلبي أسـىً لا أطيقُـه
وقـد ضـاق ذرعـاً عـن تحمله الصدرُ

أيـدري حسامٌ حزّ نحرك حده
به حزّ من خير الورى المصطفى نحرُ

علـيّ عـزيـزٌ أن أسير مع العدى
وتبقى بـوادي الطفّ يصهرك الحرُّ

أخي إن سرى جسمي فقلبي بكربلا
مقيمٌ إلى أن ينتهي منّي العُمرُ

أخـي كـلُّ رُزءٍ غـير رزئك هـيّنٌ
وما بسواه اشتدّ واعصوصب الأمرُ

أ أُنعم في جسمٍ سليمٍ من الأذى
وجسمك منه تنهلُ البيض والسُّمرُ

أخي بعدك الأيّامُ عادت ليالياً
علـيّ فـلا صبح هنـاك ولا عصرُ

لقد حاربت عيني الرقاد فلم تنم
ولي يا أخي إن لم تنم عيني العذرُ

أخي أنت تدري ما لأختك راحةٌ
وذلك من يومٍ به راعها الشمرُ

فلا سلوةٌ تُرجى لها بعد ما جرى
وحتّى الزلال العذب في فمها مُرُّ

ايمنعك القوم الفرات وورده
وذاك إلى الزهراء من ربّها مَهْرُ

أخي أنت عن جدّي وأمّي وعن أبي
وعن حسنٍ لي سلوةٌ وبك اليسرُ

متى شاهدت عيناي وجهك شاهدت
وجوههم الغراء وانكشف الضرُ

ومذ غبت عنّي غاب عني جميعهم
ففقدك كسر ليس يرجى له جبرُ

# أبا صالح

**الشيخ محمّد حسن الجواهري**[(١)]

**في أهل البيت وما نالهم من حيف:**

أبـــا صـــالـــح كـــلّـــت الألـــســـنُ ... وقـــد شـــخـــصـــت نـــحـــوك الأعـــين
نـــعـــجّ الـــيـــك وأنـــت الـــعـــليـــم ... فـــيـــا نُـــســـرّ ومـــا نُـــعـــلـــن
أتـــغـــضي وقـــد عـــزّ أنـــف الـــضـــلال ... وأنـــف الـــرشـــاد لـــه مـــذعـــن
ويـــمـــلـــك أمـــر الـــهـــدى كـــافـــر ... فـــيـــغـــدو وفي حـــكـــمـــه المـــؤمـــن
وأهـــل الـــتـــقـــى لم تجـــد مـــأمـــنـــاً ... وأهـــل الـــشـــقـــا ضـــمـــهـــا المـــأمـــن
فـــهـــذي الـــبـــقـــيـــة مـــن مـــعـــشر ... قـــديـــمـــاً لـــكـــم بـــغـــيـــهـــم أكـــمـــنـــوا
هـــم الـــقـــوم قـــد غـــصـــبـــوا فـــيـــئـــكـــم ... وغـــيرهـــم مـــنـــه قـــد أمـــكـــنـــوا
أزاحـــوكـــم عـــن مـــقـــام بـــه ... بـــرغـــم الـــهـــدى شرهـــم اســـكـــنـــوا
أبي الله يـــظـــعـــن عـــنـــه الـــوصي ... وشرّ دعـــيٍّ بـــه يـــقـــطـــن
تـــداعـــوا لـــنـــقـــض عـــهـــود الألى ... أسروا الـــنـــفـــاق ولم يـــؤمـــنـــوا
فـــأيـــن إلى أيـــن نـــصّ الـــغـــديـــر ... ألم يـــغـــنـــهـــم ذلـــك المـــوطـــن
فـــيـــا بـــئـــســـا خـــلـــفـــوا أحمـــداً ... بـــعـــترتـــه وهـــو المحـــســـن

**أدب الطف: ج٨ ص٣٠١**

(١) توفي سنة ١٣٣٥هـ في النجف الأشرف، ودفن إلى جنب جده المعروف الشيخ محمّد حسن الجواهريّ في مقبرتهم.

# يا نفس

فكوني على وجل، ولا تصحبي غير الخالص من العمل، كما أن المسافر إلى بعيد القفار، لا يصحب معه إلا خالص النضار، طلبا للخفة وكثرة الانتفاع، والابتياع به عند الحاجة لما يباع، ولا حاجة أعظم من فاقة القيامة، ولا عمل أنفع من الخالص لله يوم الطامة، فهو أحسن الذخائر، وأخفها حملا عند أولي البصائر

شعر:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه
وثوب جسمك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس.

يا نفس:

في الخبر: أن العمل الصالح يمهد في الجنة لصاحبه، كما يرسل الرجل غلامه بفراشه ومآربه، بل هو يحمل صاحبه على ما ورد عن العلماء في رواياتهم، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦١]، إذ العمل الصالح يقول لصاحبه: اركبني عند أهوال يوم القيامة فلطالما ركبتك في الدنيا في الصلاة والصيام، فيركبه فيتخطى به مواقف الهوان، حتى يحل به غرفات الجنان، فارتأ لنفسك قبل نزولك، ومهد المنزل قبل حلولك، ومن عمل صالحا فلأ نفسهم يمهدون، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون.

يا نفس:

إياك والحرص فالحرص مذموم، والحريص محروم، والرزق مقسوم، لا يزيده قيام حريص طامع، ولا ينقصه قعود مجمل قانع. ففي الحديث: لا تموت نفس من الخلق، حتى تستكمل ما قسم لها من الرزق، إن الله قسم الرزق بين خلقه حلالا ولم يقسمه حراما، فمن اتقى وصبر أعطاه الله رزقه تماما، ومن هتك حجاب الستر فأخذه من غير حله، فوقص[1] به من رزقه الحلال كله.

شعر:

يفني الحريص بجمع المال مدته
وللحوادث ما يبقى وما يدع

كدورة القز ما تبنيه يهلكها
وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

يا نفس:

إن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وإنه لا غنى لك عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد، فلا تحملي على ظهرك ما يعجزك حمله، فيكون وبالاً عليك نقله، وإن وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك، فيوافيك به غدا يوم معادك، فأكثري من تزويده وحمليه، فلعلك تطلبينه فلا تجدينه.

[محاسبة النفس اللوامة / الشيخ الكفعمي]

---

(١) أي: قطع. مجمع البحرين ٤: ١٨٠ قصص.